



المنتدى الإسلامي العالمي للحوار

العلمانية

بين
الوسطية .. والتطرف

العلمانية من (العِلم) أو من (العَالم)
نهج حضاري حُرِّفَ وافتُري عليه ..!

بقلم
أ. د. حامد بن أحمد الرفاعي

سلسلة لتعارفوا
الطبعة الأولى

العـــدد - ٣٠
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

إهـــــداء ٢٠٠٩

الأستاذ الدكتور خالد عزب

جمهورية مصر العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء وتقدير إلى

أخي الفاضل سعادة الأستاذ الدكتور

خالد عزب ... وفقه الله ...

مع تحياتي

حامد الرفاعي

١٦/١١/٢٠٠٩م

العلمانية
بين
الوسطية .. و التطرف

العلمانية من «العِلم» أو من «العَالم»

نهج حضاري حُرِّف وافتُري عليه..!

بقلم

أ. د. حامد بن أحمد الرفاعي

رئيس المنتدى الإسلامي العالمي للحوار

أستاذ في جامعة الملك عبد العزيز سابقًا

سلسلة «لتعارفوا»

الطبعة الأولى

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرفاعي، حامد أحمد

العلمانية بين الوسطية والتطرف/ حامد أحمد الرفاعي -جدة،

١٤٢٩ هـ

١٣١ ص؛٢٤ سم

ردمك:٣-٤٣٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١- العلمانية ٢- الإسلام - دفع مطاعن أ. العنوان

ديوي ٢٠١,١٦ ١٤٢٩/٢٤٢٨

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٢٤٢٨

ردمك: ٣-٤٣٩-٠٠-٦٠٣-٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم .. واصطفاه وكرَّمه بنعمة العقل والإرادة والاختيار.. وشرَّفه بالنهوض بأمانة الاستخلاف في الأرض.. وسخر له ما في السموات والأرض من أجل عمارتها وإقامة الحياة العادلة الآمنة في ربوعها.. والحمد لله ذي الجلال والإكرام الذي كرَّم أمتنا فبوأها مواقع الوسطية بين الأمم .. وشرَّفها بمهمة الشهود الحضاري على الناس .. وأصلي وأسلم على المبعوث رحمةً للعالمين إمامنا وحبيبنا وقرة أعيننا نبينا ورسولنا الهادي البشير سيدنا محمد بن عبدالله رافع لواء العالمية العادلة في الأرض .. ورائد العولمة الراشدة بين الناس .. وأصلي وأسلم على آل بيته الأخيار الأطهار .. وعلى جميع صحابته الغر الميامين الأبرار. . والصلاة والسلام على جميع أنبياء الله ورسله.

الإهداء إلى ..

- علماء الأمة الإسلامية ومفكريها وساستها
- علماء العالم وحكمائه ومفكريه وساسته
- أجيال البشرية جمعاء

تنويه وبيان



ساركوزي يستقبل البابا

في الوقت الذي كان هذا الكتاب يعد للطباعة.. زار البابا بنيديكتوس السادس عشر باريس في ١٢/ ٩ /٢٠٠٨م.وفي لقائه مع الرئيس ساركوزي صرح قائلاً: " "من الواضح أن العلمانية لا تتعارض مع الإيمان" مؤكدا أن "القيم المسيحية جوهرية في بناء الدولة والمجتمع". وقال " أنهما عالمان ينبغي أن يكونا منفتحين الواحد على الآخر. ولكون هذه التصريحات تؤكد ما جاء في هذا الكتاب من أن القيم الدينية الربانيه والدولة امران متلازمان، كان هذا التنويه.



د. حامد الرفاعي والبابا بنيديكتوس ١٦

ومما تجدر الإشارة إليه كذلك لقاء الدكتور حامد الرفاعي مع البابا في ١١/ ٦ / ٢٠٠٨م أثناء انعقاد الدورة الرابعة عشرة للحوار مع الفاتيكان.. حيث خاطب البابا قائلاً: إن العالم اليوم يعاني من أزمة حادة في أمنه واستقراره.وأن الحاجة ملحة إلى مبادرة من القيادات الدينية والسياسية لإنهاء حالة اضطراب المفاهيم الدينية السائدة في العالم.. وإننا لواثقون من أن فخامتكم وخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز لكونكما زعيمين لأكبر ديانتين في العالم مؤهلين للعمل مع باقي الحكماء من القيادات العالمية لتحقيق هذه الغاية الجليلة.

مقدمة:

العلمانية بفتح العين "العَلمانية" .. أو بكسرها "العِلمانية" .. أي بجذريها اللغويين "العَالم" بمعنى الدنيا "أو « العِلم" بمعنى التعلّم والبحث العلمي.. فالإسلام يبقى رحم مولدها.. وتربة غرسها .. وفي ظلاله تترعرع كلمتها .. وتشمخ فروعها .. وتؤتي أوكلها الطيب اليانع في كل حين.

فالعَلمانية من العَالم .. أو الدنيوية من الدنيا .. فالإسلام أصّل لها وأكدها وألح عليها منذ فجر رسالته .. حيث جاء خطابه من وراء أربعة عشر قرنًا ونيف.. ليتحول بالناس من قومية الأديان.. إلى إنسانية الإسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨.. ولينعطف برسالة الله تعالى من مراحلها الإقليمية إلى شمولية آفاقها العالمية ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ الأنبياء: ١٠٧.

والعِلمانية من العِلم والبحث العلمي .. ومن النظر في هندسة

بنية الكون .. والكدح في مناكبه لاستكشاف مكنوناته واستثمارها.. فإن الإسلام أعلى من شأنها، فجعلها مرتكزًا أساسًا في معرفة الحق الرباني ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ فصلت: ٥٣ ومصدرًا قويًا لبناء اليقين الإيماني ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴾ البقرة: ٢٦٠ واعتبرها سبيلاً لخشية رب العالمين ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ فاطر: ٢٨

والعَلمانية من الاهتمام بالدنيا وتحقيق مصالح الناس فيها.. ومن السعي لتأمين احتياجاتهم وأمنهم واستقرارهم وازدهار حياتهم.. فالإسلام هو الذي قرر مبدأ الاستخلاف في الأرض .. وانتدب البشرية وحمّلها أمانة عمارتها وإقامة العدل في ربوعها ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ البقرة: ٣٠

ورغّب البشرية في استعمارها واستثمارها ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ هود: ٦١

وأتاح فرصة الاستثمار والاستمتاع فيها بكل إنصاف للناس جميعًا ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ الإسراء: ٢٠ ، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ هود: ١٥، ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ الشورى: ٢٠

والعلمانية بمعنى العلم والبحث العلمي .. فالإسلام هو المبدأ الوحيد في التاريخ البشري .. الذي يكافئ الباحث المخطئ تشجيعًا له على المضي في البحث .. ويضاعف الجزاء والأجر للباحث المبدع تقديرًا وتحفيزًا له .. ليعطي المزيد من الإبداع والارتقاء.

وبذلك أقام الإسلام منهج وسطيته الخالدة .. فأقام التكامل بين المسجد والسوق .. وأكد التكامل والتلازم بين محاريب العبادة الروحية في بناء الإنسان .. ومحاريب العبادة العمرانية في بناء الحياة وعمارة الكون.

الفصل الأول

إشكالية مصطلح العلمانية

ومن إحدى إشكاليات العلاقة مع الآخر على المستوى الإقليمي والعالمي .. والتي تشكل مصدرًا من مصادر الخلل الأمني إقليميًا وعالميًا.. إشكالية مصطلح العلمانية ومفاهيمها .. لذا وجدت من الواجب عليّ أن أقدم رؤية بشأن هذه المسألة، أطرحها للتأمل والمدارسة لعلنا ننهي أزمة فكرية، من أبرز أزماتنا الثقافية المعاصرة.. ولعله من المفيد أن أقدم بين يدي ذلك لمحة موجزة، عن فهمي لظهور مصطلح العلمانية في الثقافة البشرية في القرون الوسطى والمعاصرة .. وقد ظهر مصطلح العلمانية على وجه التحديد في القرن السادس عشر الميلادي .. حيث تمرد الغرب المسيحي على الكنيسة .. وأعلن ثورته الإصلاحية على تعاليمها.. التي قيدت حياته وحبستها في تعاليم كهنوتية ما أنزل الله بها من سلطان، فحالت تلك التعاليم دونهم والسعي في ميادين الحياة وتطويرها .. ودون سبر أغوار الكون وتسخيرها لصالح الإنسان ومتطلبات حياته .. وذلك عبر تعاليم

كهنوتية مفتعلة في دين الله .. جعلت العلم على نقيض مع الدين ومفاهيمه .. فكان الرد الفطري من الناس .. الثورة والتمرد على تلك التعاليم .. والخروج لميادين الحياة والاستجابة لتحدياتها .. مما أنتج ما سمي في الغرب الثورة العلمية الصناعية .. التي تمردت على الكنيسة .. وفصلت سلطانها عن مسيرة الحياة الدنيوية .. حيث برزت مقولة «فصل الدين عن الدولة» والتي تقرر فيما تقرر: أن الغرب ما كان له أن يتقدم ويتحرر من قيود التخلف .. وما كان له أن يمزق حجب الظلام من حوله .. إلا بفصل الدين عن الدولة .. وهذه حقيقة واقعة وواضحة، اعتصم المثقف الغربي بها واعتبرها بوصلة حياته وسيره الحضاري، وعشقها غير الغربيين وطربوا لها فاتخذوها سبيلاً لنهجهم في الحياة، وجعلوها أنشودتهم الحضارية الوطنية، دون أن يتأملوا حقيقة مبعث هذا المبدأ ومبررات نشوئه في الثقافة الغربية .. التي جاءت نتيجة للصراع مع التعاليم الكهنوتية للكنسية.. ودون أن يتأملوا حقيقة أخرى .. لها ما يؤكدها ويصدقها وهي: أن المسلمين وعلى أساس من التلازم والتكامل بين الدين والدولة، تقدموا في تاريخهم، وأشادوا صروحاً حضارية شامخة وآمنة، وربما أيضاً حققوا شيئاً من ذلك في بعض جوانب مشرقة من واقعهم المعاصر، نعم لم يتأمل المفتونون بشعار» فصل الدين

عن الدولة «هذه الحقيقة في المسيرة الحضارية الإسلامية، حقيقة تلازم الدين والدولة .. ولم يحاولوا فك طلاسم هذا اللغز.. أناس من البشر التزموا قيم دينهم فأفلحوا في حياتهم وتقدموا، وآخرون فصلوا أنفسهم عن الدين فتقدموا بعد تخلف .. ودولة ملحدة كفرت بفكرة الدين .. وآمنت بمقولة «لا إله .. والحياة مادة» .. فكانت أول دولة في العالم وطأت بقدمها سطح القمر..! أين الحقيقة ..؟ وكيف لنا أن نفهم علاقة الدين بالتقدم ..؟

الفصل الثاني

ما حقيقة دور الدين في ميادين الحياة؟

أمة تقول أن التزامها بالدين كان مصدر فلاحها وتقدمها ورقيها في ميادين الحياة، وأخرى تقول أن فصل الدين عن حياتها.. كان مصدر تحررها وانعتاقها من قيود التخلف .. وسبيلها في الانبعاث والارتقاء في مدارج التألق العلمي والحضاري .. وثالثة كفرت بفكرة الدين .. وتؤمن بأن لا إله وأن الحياة مادة .. فكانت أول دولة وطأت قدمها سطح القمر..!

أين الحقيقة يا ترى ؟ أفيدونا رحمكم الله !

وأجيب وبالله التوفيق وهو المستعان سبحانه: إن مقولة أن الغرب فصل الدين عن الدولة، تحتاج بتقديري إلى إعادة نظر من قبل من يقول بها، فالغرب بفهمي لم يفصل الدين عن الدولة، ولكنه فصل وأبطل المعوقات الدينية التي استحدثتها الكنيسة - ظلماً وعدواناً - على التعاليم الربانية التي جاء بها المسيح عليه الصلاة

والسلام.. والتي كانت سببًا في بعث الأجواء التي فجرت حالة التمرد على الكنيسة ونهجها الكهنوتي المنغلق تجاه الحياة .. حيث ولدت فكرة العلمانية في أوساط المثقفين في الغرب.. بعد أن وضعت الكنيسة تعريفًا للدين مستهجنًا من قبل كل ذي عقل ولب (راجع إن شئت الموسوعة الفرنسية الكبرى في العلوم والآداب والفنون/ الجزء المشتمل على كلمة الدين (La Grande Encyclopedie des Sciencs، des Letters et des Arts، Articalles: Religion، فقالت:

- «الدين هو الطريقة التي يحقق بها الإنسان صلاته مع قوى الغيب العلوية».. أي أن الدين لا علاقة له بشؤون حياة الناس.. ولا علاقة للدين كذلك بتنظيم مصالحهم في الأرض.
- «وأن الدين هو ما يشتمل على كل معلوم وكل سلطة لا تتفق والعلم» .. أي أن الدين يتصادم مع العلم .. ويتعارض مع الأخذ بأسباب البحث العلمي والتكنولوجي .. ويقعد بالناس ويحجزهم في المعابد .. ويحول بينهم وبين مهمة النهوض بواجب عمارة الأرض .. واستثمار خزائنها لصالح حياة البشر وأمنهم.

وواضح من هذا التعريف للدين -عند الكنيسة- أنها حصرت الدين بعالم الغيب، وأنه يتصادم مع العلم والبحث العلمي.. والدراسات تقول: أن الكنيسة لجأت لمثل هذا التعريف المستهجن، ظناً منها أنه

السبيل الأفضل لربـط النــاس بسلطانها.. وضمان استمرار ولائـهم وخضوعهم لمنهج هيمنتها الكهنوتية. فأقامت بذلك جداراً وحاجزاً بين مفهوم تدين الإنسان .. وبين حسه الفطري بالتمتع في الحياة والتعرف على أسرارها وفلسفة وجوده فيها .. وحالت كذلك بين الناس وبين تلبية طموحاتهم في التعرف على الكون.. وسبر أغواره وتسخير مكنوناته لصالح حياتهم ومتطلباتها عبر الزمان والمكان.. فجاء الرد الطبيعي والمنطقي بالثورة الصناعية .. التي تمردت على القيم اللاهوتية التي أحدثتها سلطة الكنيسة، وبذلك نفض الغرب عن كاهله هذا الإرث البغيض، وحطم القيود الكهنوتية التي حبسته عن الحياة وميادين التقدم والارتقاء، إلا أنه بقي مرتبطا بالكنيسة في وجدانه وقيمه الروحية وتقاليده العامة، وهذا ما تؤكده الزعامات العلمانية ذاتها فهاهو الرئيس الأمريكي الأسبق جون فوستر دالاس يقول: «إن الأمر لا يتعلق بالماديات فنحن نمتلك أكبر إنتاج عالمي في الماديات .. ولكننا بحاجة إلى إيمان قوي وصلب وفاعل .. ومن دون هذا الإيمان سيكون كل ما نملك قليلاً».

والرئيس روزفلت يقول: «ليس ما نملك هو المهم من أجل أن نكون أمة عظيمة .. ولكن المهم هي الطريقة التي نستخدم بها ما نملك». أما ميخائيل جورباتشوف الرئيس الأسبق لما كان يعرف

بالاتحاد السوفيتي «دولة الإلحاد في الأرض في زمانها».، وصاحب محاولة حركة الإصلاح وإعادة البناء السليم لبلاده .. يقول في كتابه البيريسترويكا: «ومهمتنا الرئيسة اليوم هي أن نرفع من روح الفرد، ونحترم عالمه الداخلي ونعطيه قوة معنوية .. ونحن نسعى لأن نجعل كل قدرات المجتمع الفكرية، وكل إمكاناته الثقافية تعمل من أجل تشكيل شخص نشط اجتماعيًا وغني روحيًا ومستقيم وحي الضمير». والرئيس جيمي كارتير يقول في كتابه الذي صدر حديثًا (قيمنا المهددة بالخطر): «فيجب عليّ أن اعترف بأن معتقداتي الدينية الخاصة بي قد انظفرت (انجدلت) بشكل لا يمكن فكه عن المبادئ السياسية التي تبنيتها».. ويقول في نفس الكتاب: «حين ألقي دروسي في فصولي عن الإنجيل .. أحاول أن أشرح جوهر إيماننا وأن ألهم المستمعين أن يربطوا المسيحية بحياتهم الخاصة اليومية» وفي موضع آخر من الكتاب يعلق على قضية بروز كاثوليكية الرئيس جون كندي في فترة رئاسته فيقول: «فأنا أيضًا أدخلت موضوع الإيمان الديني ثانية – بشكل غير مقصود – إلى حملة الانتخابات الرئاسية.. ففي ليلة من شهر نيسان / أبريل من عام ١٩٧٦م في بيت نصير سياسي من كارولين الشمالية سئلت بصراحة إن كنت (ولدت ثانية مسيحيًا) ..؟ وكان هناك مراسلون للصحافة .. فأجبت بصدق

«نعم» مقدرًا أن كل المسيحيين المخلصين كانوا قد ولدوا ثانية من الروح القدس ..»، وفي تفاعله مع أزمة صراع النفس عنده .. وعند كل مسيحي بشأن العلاقة بين الدين والعلمانية .. يتساءل جيمي كارتر مع نفسه فيقول: «منذ أن نشرت كتابيَّ الدينيين (الإيمان الحي) و(مصادر القوة) ما زلت أسأل هل كانت معتقداتي المسيحية قد تعارضت مع واجباتي العلمانية بمنصب الرئيس ..؟ كان هناك بضع مرات قليلة من عدم التعارض.

وبعد حشد هذه الأقوال لقادة سياسيين من معسكر العلمانية ومن معسكر الإلحاد الماركسي .. التي تؤكد نزعة التلازم الوجداني عندهم بين التدين ومسلكهم في الحياة.. نتابع قصة علاقة الكنيسة مع العلمانية .. حيث عادت السلطة الكهنوتية واستدركت على خطيئتها بما أحدثته ومارسته من مفاهيم كهنوتية خاطئة، بعد ما أدركت أنها تتصادم مع فطرة الإنسان ونواميس الحياة، وأنها كانت سبباً في عزلتها عن ميادين السير الحضاري، وابتعدت الكثرة الكاثرة من أتباعها عن سلطتها، ووجدت نفسها بذلك مهجورة ومعزولة عن أبناء الكنيسة، الذين ساروا بركب حركة العلم والصناعة، التي استجابت لطموحاتهم وتحديات زمانهم، ولقبوا أنفسهم «بالعلمانيين» ردًا منهم على (الظلاميين) من رجال السلطة الكهنوتية على حد

تعبيرهم، وأخذت الكنيسة تبحث عن سبل تستدرك من خلاله على خطيئتها، وراحت تراجع موقفها من العلمانيين وتتودد إليهم وتعقد معهم ندوات حوار.. وقد رحب بعض قادة العلمانيين بتراجع الكنيسة عن تعاليمها المضادة للعلمانية ومسائل الحياة وتطورها .. والكنيسة الكاثوليكية من جانبها عمدت إلى إجراءات عملية، لتصحح بها تلك الخطيئة الكبرى في تاريخها، وهذا ما سيتجلى في الفصل القادم.

الفصل الثالث

المجمع المسكوني الثاني

عقدت الكنيسة الكاثوليكية مؤتمرها الكهنوتي العالمي (المجمع المسكوني الثاني) .. لتستدرك خطيئتها بشأن نظرتها تجاه الكون وحركة العلم. واستغرق الإعداد لهذا المؤتمر ما يزيد عن سنتين من ١٩٦٠–١٩٦٢، واستمر انعقاده عبر دورات متتالية حتى نهاية عام ١٩٦٥ م، حيث أصدر قراراته ودساتيره، ومواقفه الدينية، من الأديان الأخرى، ومن العلمانية حيث أعلنوا عن مصالحة دينية بين الكنيسة والعلمانية، ومما جاء في تقرير (المجمع المسكوني الثاني) بهذا الصدد:

«أعاد المجمع الفاتيكاني الثاني إلى الأذهان (شعب الله) وأن (الكنيسة –جماعة المؤمنين) التي لا تقتصر على رجال الاكليروس، بل تشمل خصوصًا العلمانيين، وتقدر رسالتهم حق قدرها، معيدة إليهم دورهم البارز والأساس في حياة الكنيسة وتاريخها،إنه المجمع الذي أولى العلمانيين اهتمامًا كبيرًا وفريدًا، فأفرد لهم فصلاً في الدستور العقائدي (الكنيسة)، وقسمًا لا يستهان به في

الدستور الرعوي (الكنيسة في عالم اليوم وقـرارًا كاملاً يعيد إليهم اعتبـارهم، ويؤكد رسالتهم المميزة»

إلى أن يقول التقرير:

«فـإن عمل العلمانيين الرسولي والخدمة الرعوية يكمل كل منهما الآخر» .ويقول التقرير في موطن آخر عن العلمانيين: «وإنه لواسع جداً ميدان العمل الرسولي على الصعيدين الوطني والدولي، حيث يكون العلمانيون وكلاء الحكمة المسيحية».

و يقول كذلك وفي نفس السياق :

«العلمانيون جند من جنود الكنيسة ولكن بوسائل أخرى»

ويختم التقرير قائلاً: «فليرحب الرعاة بهؤلاء العلمانيين بارتياح وشكر، وليحرصوا على أن تكون أوضاعهم الحياتية متوافقة مع مقتضيات العدالة والإنصاف والمحبة، وليحرصوا كذلك على أن تتوفر لهؤلاء العلمانيين الوسائل اللازمة لتثقيفهم، وبنيانهم الروحي، وتشجيعهم».

وبذلك أنهت السلطة الكهنوتية الكنسية الكاثوليكية عزلتها عن أبناء ديانتها ، وطوت صفحة حقبة الصراع المرير مع قسم كبير من العلمانيين، الذين تمردوا بالأمس على قيودها الكهنوتية، المعوقة للسير في ميادين الحياة والإبداع والارتقاء، وأعادت إليهم اعتبارهم

الديني الذي أسقطته عنهم، بل وأوصت الرعاة الكهنوتيين - كما ذكر سابقاً - بهم خيراً، وبذلك يتأكد بأن العلمانية لم تنفصل قط عن الكنيسة وجدانيًا وعقائديًا وروحيًا، ولكن الكنيسة هي التي حبست نفسها عن الحياة، وعن متطلبات فطرة الناس وانعزلت، أما العلمانيون فقد مارسوا حقهم في التمرد على المفاهيم الخاطئة التي أحدثتها السلطة الكهنوتية لصالح هيمنتها الكنسية على حساب إقامة الحياة وحق الناس في التقدم والارتقاء، وإذ قلت آنفًا أن الكنيسة الكاثوليكية قد أنهت مشكلتها مع قسم كبير من العلمانيين.. إلا أن هناك قسماً من العلمانيين رفضوا إعادة التزاوج مع الكنيسة.. لاقتناعهم الجازم بأن الكنيسة ستبقى مصدر الجمود والتخلف.. ولذلك لا سبيل للتعايش معها ولا بد من المضي في الانفصال عنها وبلورة منهج للحياة يغاير منهج الكنيسة وفلسفتها.. فنحتوا مصطلح الحداثة ردًا على الماضوية وتحديًا لفلسفة المحافظين والجمود والتقوقع في كل ما هو ماض وقديم .. وهكذا ظهرت العلمانية بقبعة جديدة ويمسمى جديد هو تيار الحداثة .. وتلقف المثقفون في الغرب المصطلح الجديد، وارتاحوا له وطربوا لطروحاته، وانتعشت الحداثة وذاع صيتها في الآفاق.. واستقبل الوافدون الشرقيون من العرب والمسلمين القادمون للدراسة في أوروبا، وعلى الأخص في فرنسا

حيث ساحة انتعاش الحداثيين، ومعقل فكرتهم وفلسفتهم .. وتجددت مشكلة الكنيسة مع العلمانية عبر الحداثيين .. ونحن في المشرق العربي والإسلامي، وصلتنا الحداثة مثلما وصلتنا العلمانية من قبل .. حيث نقل المستغربون من العرب والمسلمين فلسفة الحداثة بأبشع معانيها وتطرفها إلا ما ندر من العقلاء وقليل ما هم، الذين بقوا متوازنين في التعامل معها، من منطلق التجديد والتطوير لمناحي الحياة بعيدًا عن محتواها العقدي الإلحادي .. ومرت الحداثة المتطرفة بما مرت بها أمها ومرضعتها العلمانية المتطرفة .. حيث ازدهرت إلى حين، ثم بدأ بريقها يخفت، وأخذت هامتها بالانحناء، وهاهي في انحدار وفي ذبول، وأحسبها تعاني من سكرات الموت والتلاشي .. أم الحداثة المؤمنة المتبصرة.. القائمة على مبدأ التجديد والتطوير والارتقاء في ميادين الحياة.. في إطار التلازم مع فطرة الإنسان ومتطلباته الروحية والوجدانية .. وفي إطار من التكامل مع القيم والمبادئ والمثل الدينية .. فهي في تقديري في انتعاش واتساع مطرد .. وستجد نفسها في تحالف، وفي تناسق فطري وميداني مع دين الله ورسالته الخالدة الداعية إلى تثوير الأرض، واستكشاف خزائنها، وتوظيف مكنوناتها، لصالح الحياة وكرامة الإنسان.

وختامًا .. لابد من تأكيد حقيقة واقعة لا يستطيع أحد من ذوي

الألباب أن ينكرها أو التنكر لها .. وهي أن الغرب وأوروبا على وجه الخصوص .. لا تزال تعاني من حالة صراع بغيض، بين حالتين من الغلو والتطرف والتعصب .. وأول هذين التطرفين: تطرف يمارسه بعض سدنة الكنيسة المسيحية.. وعلى الأخص بعض سدنة الكنيسة الكاثوليكية.. الذين لا يزالون يؤمنون بمنهجية هيمنة سلطان الكنيسة بشأن تحديد الأفضل لحياة أتباعها .. والأفضل عندهم هو أوبة المسيحيين إلى الكنيسة .. والانحباس خلف جدران كهوف الكهنوتية والرهبنة.. وأن ينسحبوا من ميادين الانشغال بالدنيا وزخرفها .. فهذا يفسد إيمانهم ويعكر صفو روحانية اتصالهم بالله وروح القدس.

والتطرف الثاني: تطرف يمارسه بعض حرّاس العلمانية والحداثة .. الذين بدورهم لا يزالون يمعنون في تعميق القطيعة الوجدانية والسلوكية بين الإنسان والكنيسة والتعاليم اللاهوتية.. ويصرون على عزل وإبعاد الناس عن عالم الروح والقيم الدينية والروحية.. لكونها بنظرهم أفيونًا تخدر عقول الأجيال وتشل إرادتهم.. وتحجزهم عن الاهتمام بميادين الحياة .. وتحول بينهم وبين المساهمة في مواكبة حركة العلم والإبداع والارتقاء الحضاري.

طبعًا .. ومن جهة أخرى وكما عبر القرآن .. فالغرب ليس سواءً

في نهجه ومسلكه وفهمه .. وكما أسلفنا فإن هناك ثلة من الحكماء والعقلاء في المجتمعات الغربية.. تسعى جاهدة في تخفيف حالة التوتر بين المتطرفين والمتعصبين من الجانبين .. وتعمل على إنهاء حالة الصراع المحتدمة بين الكنيسة والعلمانية.. وتحاول إقامة حالة من التوازن بين الكنيسة والسوق ومناحي الحياة.. وبعث شكل من التكامل بين التعاليم الدينية والتحديات الحياتية.. ونحن المسلمين نأمل أن يوفقوا لمثل هذا التصحيح والترشيد .. وقرآننا يدعوهم ويؤكد لهم قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المائدة-٧٧.. ويخاطبهم رب العزة والجلال قائلاً: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ المائدة -٦٨ ..

كما يؤكد لهم القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٤٧)﴾ المائدة-٤٦،٤٧.

والإسلام لكونه الرسالة الربانية الخاتمة.. ولكونه الصيغة التامة الكاملة لدين الله تعالى .. ولكونه الوحي الرباني الكامل

الشامل والمؤتمن على أساسيات ومنطلقات كل ما جاء به الأنبياء والرسل قبل بعثة الرسول الخاتم سيدنا محمد .. عليه وعلى جميع الأنبياء والرسل أفضل الصلاة والتسليم.. فقد اعتنى الإسلام عناية خاصة بمسألة التكامل والتوازن بين الجانب الروحي والجانب المادي .. في منهجية بناء وتنشئة التكوين التربوي للإنسان .. فأقام معادلة متوازنة ومحكمة بين مقومات تكوينه الوجداني .. وبين مقومات مهمته في ميادين الحياة .. وجعل التكامل والتلازم بين طرفي المعادلة شرطاً أساسياً لتحقيق العبودية الخالصة الكاملة لله تعالى.. حيث أقام منهجية تكامل وتلازم بين محاريب العبادة الروحية وبين محاريب العبادة العمرانية«﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ الملك-١٥ .. ويؤكد الإسلام أن أي تعطيل أو تخلف أو عزوف عن أداء واحدة من العبادتين «الروحية والعمرانية» ينقص من شأن كمال وتمام العبادة الخالصة لله تعالى .. وأن أيًا من العبادتين لا يغني عن الأخرى في تحقيق تمام وكمال مرضاة الله تعالى حيث يقول جل شأنه:﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يونس-١٠١

.. ويقول سبحانه:﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾التوبة: ١٠٥.. ويؤكد الله سبحانه وتعالى أنه لا يحابي أحدًا: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

خَيْرًا يَـرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْـمَلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَـرًّا يَـرَهُۥ ۝٨ ﴾ الزلزلة-٧،٨ .. ويؤكد العزيز الحكيم: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ الشورى-٢٠..ويقرر تباركت أسماؤه فيقول: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ هود -١٥

ومن جهة أخرى يقول رسول الله تعالى صلى الله عليه وسلم: «الإسلام بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» ويقول عليه الصلاة والسلام: «من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا».. ويقول عليه السلام «خير الناس من نفع الناس» ويؤكد عليه الصلاة والسلام «أن الله يحب العبد المحترف» كما يؤكد «أن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه».. ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لقد ولّينا عليهم من أجل تأمين مهنتهم، وسد جوعتهم، وستر عورتهم».. ويقول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ فصلت: ٥٣ .. ويؤكد جل شأنه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ فاطر: ٢٨.

أجل إن الإسلام يؤكد باستمرار على منهجية الوسطية .. وسطية التكامل والتلازم بين المسجد والسوق .. بين الدين والدنيا .. بين العاجلة والآجلة .. بين عالم الغيب وعالم الشهادة .. بين القرآن

والدولة .. بين محاريب العبادة الروحية بكل شعائرها وطقوسها وأخلاقها وفضائلها .. وبين محاريب العبادة الكونية العمرانية بكل ميادينها ومادياتها ومهاراتها ووسائلها وتحدياتها.



الفصل الرابع

الإسلام والحياة

والمسلمون عندما تقدموا وأشادوا صروح حضارتهم الراشدة الآمنة، كنّا نفعّل قيم الدين والحياة معًا، ونقيم حياتنا على التكامل والتلازم بين قيم ومبادئ الإسلام ومقاصد رسالته العالمية الإنسانية، التي تحثنا على البحث العلمي والإبداع، وتدعونا إلى العمل من أجل تسخير مكنونات الكون، للنهوض بمسؤوليات عمارة الأرض، وقد ربط الإسلام ذلك كله بأساسيات الإيمان، وأدخله في دوائر الجزاء والثواب والعقاب، تأكيداً على التلازم والتكامل الأكيد بين محاريب العبادة الروحية، ومحاريب العبادة العمرانية، والإسلام هو الدين الوحيد والمنهج الحياتي الفريد، الذي يكافئ الباحث المخطئ في ما بحث، تشجيعاً له على استمرارية البحث والنظر في كل ما يحقق عمارة الأرض، ويوفر الخير والرفاهية للعالمين، أما الباحث الناجح المبدع فيضاعف له الأجر والثواب تقديرًا له على إبداعه، وتشجيعًا له على المضي في ميادين البحث والإبداع والارتقاء حيث يقول رسول الله عليه السلام:

«من اجتهد فأصاب فله أجـران ومـن اجتهد فأخطأ فله أجر»
البخاري ومسلم

وعندما تخلفنا وتقاعسـنـا عن تفعيل قيـم الإسـلام ورسالته في الحياة، واكتفينا بالارتباط الوجداني، والعقدي، والتعبدي الروحي بدين الإســلام، على غــرار ما أرادته الكنيســة لأتبـاعها بالأمس، وعطلنا الحوافز الدينية والدعوة الربانية للأخذ بأسباب البحث العلمي والتكنـولوجي، أصابنا ما أصابنا مما لا نحسد عليه. إذًا المسألة بتقديري متعلقة بتفعيل ميادين الحياة، أو تفعيل مرتكز (فامشوا في مناكبها) في الحياة، هذا المرتكز الذي ينبغي أن يكون الرهان المشترك بين جميع الأمم، من أجل النهوض بمسؤوليات أمانة الاستخلاف في الأرض، فالأرض «لا تمطر ذهبًا ولا فضة «كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الخليفة الراشد رضي الله عنه وأرضاه ولكن:

﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ﴾التوبة: ١٠٥

فالله سبحانه وتعالى لا يحابي أحدًا:

- ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ الزلزلة: ٧ - ٨ ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾/ الشورى - ٢٠

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾/هود -١٥

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ الملك-١٥

فالقضية إذاً .. قضية مشي أو لا مشي .. مسألة عمل أو لا عمل.. حالة كفاءة أو لا كفاءة .. موضوع مهارة أو لا مهارة .. وليس كما يتصور البعض أنها عملية تقوى واستقامة فحسب .. فسير الأحداث في حياة البشر والمجتمعات عبر التاريخ يؤكد هذه المسألة .. والواقع المشاهد في التاريخ البشري المعاصر يصدقها .. حيث يقدم لنا ثلاثة مشاهد عمرانية عالمية عاشها الناس ولا يزالون:

١. مشهد عمراني تمثله إمبراطورية كبرى ملحدة هي «الاتحاد السوفيتي المنهار»، لا تؤمن بفكرة الإله والدين، وكانت تعلن رسمياً أنها تكفر بالأديان وتعتبر الدين «أفيون الشعوب»، وتؤكد إيمانها بالجدلية المادية «وأن لا إله والحياة مادة»، وعلى أساس من ذلك أقامت صروحها العلمية والتكنولوجية، ولم يقف هذا الإلحاد الصريح الراسخ في منهجها، دون أن تكون أول قوة علمية في الأرض وطأت قدمها سطح القمر، وأن تكون القوة العظمى الأولى في العالم، من

حيث كمية نتاجها الصناعي والتكنولوجي، ومن حيث كمية مخزونها النووي، ومن حيث تفوقها في امتلاك أكبر إنتاج للصواريخ العابرة للقارات، وكذلك من حيث تعداد جيشها وكفاءة تسليحه وتدريبه وتأهيله.

٢. والمشهد العمراني الثاني، يتمثل في إمبراطورية كبرى علمانية هي «الولايات المتحدة الأمريكية»، التي فصلت حياتها عن دينها، وتعلن صباح مساء أن لا علاقة للدين في نهج حياتها السياسي، والعلمي، والاجتماعي، وأنها دولة لا دينية، وأن الدين شأن فردي، لا شأن له بالحياة ومتطلباتها ومسؤولياتها، وعلى أساس من هذا الاعتقاد أقامت صروحها العلمية والتكنولوجية، مثلما أشادت بناءها الإداري والاقتصادي، وها هي أقوى قوة في الأرض، تبسط سلطانها وجبروتها ذات اليمين وذات الشمال دون منازع.

٣. والمشهد العمراني الثالث يتحدث عن الأمة الإسلامية، التي تؤكد أنها بفضل إيمانها بربها، وبفضل التزامها بشرعة الإسلام وقيمه ومبادئه، استطاعت أن تقيم أعظم وأفضل إمبراطورية حضارية في التاريخ البشري، يشهد بفضلها وعدلها وعظمتها البعيد

قبل القريب، وكثير من عقلاء ومنصفي الغرب، يعترفون بأن تقدمهم وحضارتهم قامت بفضل عطاء وثمرات الحضارة الإسلامية .

هذه مشاهد حضارية عرفها الناس وعاشوها، ولا يستطيع أحد أن ينكرها ويتجاهل حقيقة وجودها، ولكن المشكلة تكمن في قراءتها، وكيفية فهم حقيقة قيامها ونشوئها، رغم تباين وتناقض النهج الثقافي والديني بينها، وبداية ونحن نقرأ هذه المشاهد الثلاثة ومحاولة تحديد المشترك بينها، لابد أن نؤكد أن قوة وتقدم الأمم يقوم على عاملين اثنين:

١. عامل الأخلاق والقيم والمبادئ،
٢. وعامل الماديات والوسائل والمهارات والخبرات.

أو يمكن القول: أن القوة والتقدم تتمثل في مسيرة الأمم في أمرين اثنين:

١. التفوق في الإنتاج التكنولوجي،
٢. والتفوق في الأداء الأخلاقي.

وعلينا أن نعترف ونؤكد، أن التفوق التكنولوجي مصدره

وباعثه التفوق في البحث العلمي، والخبرات، والمهارات، وأن التفوق الأخلاقي مصدره الدين، والثقافة، والعادات، والتقاليد، وعليه أن نعترف ونوقن بأن التكنولوجيا لا تصنع الأخلاق، كما أن الأخلاق لا تصنع التكنولوجيا، ولكن لا غنى لكل منهما عن الآخر، فكل منهما يدعم الآخر ويعززه، فالتكنولوجيا بدون أخلاق عرضة للعبثية والدمار، والأخلاق بدون تكنولوجيا تبقى زينة لاتسمن ولا تغني من جوع، وعلى هذا الأساس فالدين بحد ذاته لا يصنع تقدماً علمياً أو تفوقاً تكنولوجياً، نعم يدعو ويأمر بالعلم والتعلم، ويشجع على البحث والاستكشاف، ويحفّز على الإبداع والارتقاء في ميادين الإنتاج والتنمية والتطوير، إلا أن ذلك كله منوط ومرتهن باستجابة الإنسان لتلك التوجيهات والتزامها، مثلما هو مرتهن بإرادة الاستجابة لتحديات الحياة ومتطلباتها، ومرتهن كذلك بفهم الإنسان لمهمة الدين الصحيحة والموضوعية في مسيرة حياته، فالدين مهمته تزكية الأنفس، وتنقية الضمير والوجدان، ونظافة اليد وسلامة اللسان، واستقامة المسلك، وحسن التعامل مع الناس في ميادين الحياة المتنوعة، الدين ليس امتيازاً علمياً، أو صناعياً، أو تكنولوجياً، الدين لا يمنح امتيازاً لتحقيق الرغبات والأحلام والأمنيات، بدون جهد يبذل، وعرق يفرز، وسهر يطول، وحدب يتواصل، وفطنة متألقة،

وتنافس دؤوب،الدين ليس امتيازاً لتحقيق الدعوات عند الله يحقق للإنسان ما يشاء ويصرف عنه ما يشاء، بدون جهد وعمل، وليس كذلك امتيازاً لتحقيق رغبات وطلبات الإنسان عند الله تعالى، ليهزم ويقتل ويدحر ويغلب من يكره، وليعز وينصر ويطيل عمر وينمي رزق من يحب ويرضى عنه، فالله تباركت أسماؤه لم يشأ، وليس من عدله المطلق، أن يجعل من الإيمان به، والعبودية الخالصة لوجهه الكريم، صفقة يحقق بها بالمقابل للمؤمنين ما يشاؤون ويرغبون، على حساب جهد، وبذل، وعلم، ومهارات وخبرات، وقدرات غير المؤمنين، حاشا لله أن يرضى ويقضي بذلك، فهو رب العالمين، رب المؤمن والملحد، ورب المسلم والكافر، ورب الموحد والمشرك، ورب الصادق والمنافق، ورب البر والفاجر، فعدله لهم جميعاً في الحياة الدنيا دون تمييز، والحياة الدنيا وزخرفها وخيراتها متاحة للجميع، دون امتياز لأحد على أحد إلا بالعمل الصالح، لذا على أصحاب مقولة ربط مسألة التخلف العلمي والتكنولوجي، بأمر التخلف أو الضعف الديني أو التقهقر الإيماني، أن يعيدوا النظر بفهمهم ورؤيتهم، فالتخلف الديني وانحراف الأداء الأخلاقي، لا شك لها علاقة أساسية في سوء وعبثية توظيف الإنتاج العلمي والتكنولوجي وتطبيقاته، ولكن لا علاقة له مباشرة بعملية الإنتاج العلمي والتفوق التكنولوجي، ومرة ثانية وثالثة

ينبغي أن نفرق بين عملية الإنتاج وأخلاقية الأداء، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يعطي الدنيا للبر والفاجر» والخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة»، طبعاً الإيمان كما قلنا إذا اقترن بالسعي والعمل، وبذل المستطاع له دور في حسن الأداء، وله دور أساس بأن يجعل ثمرات الجهد والعمل مزرعة للآخرة، وموصولة بثوابها «فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور» وهذا فارق أساس بين جهد المؤمن وجهد غير المؤمن في الدنيا، فجهد المؤمن موصول بالآخرة، إذا نوى وهو يسعى في حاجة نفسه وأهله وتحسين أحواله عبادة الله وطاعة أمره سبحانه «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى»، بينما غير المؤمن فعمله في الدنيا مقطوع عن الآخرة، لأن عمله يكون بنية السعي للذات والأهل وإقامة الحياة، من غير عبودية أو طاعة خالصة لله، باعتباره غير مؤمن، وعلى أساس من هذا المعيار، فإن العدل المطلق لله تعالى قد جعل «المؤمنين وغير المؤمنين» سواء في ثمرات الجهد في الدنيا، إذا تساوت القدرات والمهارات بينهم، وإلا يبقى التمايز بينهما، في ميادين الحياة قائماً على أساس التمايز، بالكفاءات والوسائل والمهارات، فمن يحسن ويجيد كان له الفوز الأكبر في الحياة، أما الحياة الآخرة فلها معاييرها وقواعدها

الخاصة بها وفق إرادة الله وحكمه سبحانه.

أجل فالدين والقيم الأخلاقية بحد ذاتها، لا تجلب لأهلها تقدماً مادياً ولا تفوقاً تكنولوجياً، إذا لم يقرن الدين باتخاذ أسباب التقدم العلمي والتفوق الصناعي والتكنولوجي، مع العلم أن السعي لعمارة الأرض وإقامة الحياة، واتخاذ الأسباب المحققة لذلك، هو من العبادة في ميزان الله تعالى، وعلى أساس من هذا الفهم والاعتقاد لدي، فإنني قسمت العبادة في الإسلام إلى قسمين اثنين:

١. عبادة روحية،

٢. وعبادة عمرانية .

فالعبادة الروحية: تشمل أداء كل ما أوجبه الله تعالى على المسلم من عمل أو نسك أو شعائر تتعلق بالاعتقاد وأصول الإيمان، وأركان الإسلام الخمسة، والصلاة والزكاة والصوم والحج، والامتثال لكل ما أمر به جلَّ شأنه، والانتهاء عن كل ما نهى عنه سبحانه، والإيمان بالموت، والنشور، والحساب،والجزاء، والعقاب، والجنة والنار .. وغيره مما يطول التفصيل والتنويه عنه.

والعبادة العمرانية: تشمل امتثال أمر الله تعالى في عمارة الأرض

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ (٦١) ﴾ / هود

وتشمل كل جهد يبذل لإقامة الحياة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ الأنفال: ٢٤.

وكل سعي يبذل من أجل تحقيق المصالح والأرزاق ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ (١٥) ﴾ الملك: ١٥.

مثلما تشمل كل جهد يبذل لصرف الفساد عن الأرض وجلب المنافع للناس ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ (٢٥١) ﴾ البقرة: ٢٥١.

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ المائدة: ٢، هذا كله وغيره من تكاليف إقامة الحياة، وتحقيق كل ما يصون كرامة الإنسان، ويحافظ على سلامة البيئة، مندرج تحت واجبات النهوض بمسؤوليات أمانة التكليف الرباني العظيم، المتمثل بقوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾ البقرة: ٣٠، وفي قول الله تعالى: ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا ﴾ هود: ٦١ فمهمة الاستخلاف في الأرض، وعمارتها، واستثمار مسخراتها لصالح حياة الإنسان وكرامته، هذا ما نعبر عنه بالعبادة العمرانية .

وعلى أساس من هذا الاعتقاد، القائم على الإيمان بوجوب

التكامل بين العبادة الروحية، وبين العبادة العمرانية، تقوم وتتم العبادة الكاملة لله تعالى في الحياة الدنيا، وأي خلل أو تخلف يصيب هذه العبادة بأحد شقيها الروحي والعمراني، أو كليهما، ينعكس على الأمة تخلفاً وضعفاً في تفوقها المادي والتكنولوجي، أو تخلفاً وضعفاً في أدائها الأخلاقي، وفي إطار هذا الاعتقاد، أو الفهم لمعنى العبادة في الإسلام، يمكن فهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ الرعد: ١١، و «حتى يغيروا» ينبغي أن تفهم على أنها عبارة تعمل بالاتجاهين، أي من الخير إلى الشر، أو من القوة إلى الضعف، أو من التقدم إلى التخلف، أو بالعكس كذلك من الشر إلى الخير، أو من الضعف إلى القوة، أومن التخلف إلى التقدم، وبالمثل فإن عبارة «ما بأنفسهم» أي بمعنى ما في حياتهم ونهجهم، ينبغي أن تفهم على أنها تحتمل حالتين: حالة الخير أو الشر، القوة أو الضعف، التقدم أو التخلف، فالأمة عندما تمر بحالة من هذه الاحتمالات من الخير أو الشر، فإنها بلا شك تكون في حالة من اثنتين من مضامين «ما بقوم»، إما في حالة من حسن التعامل والإجادة مع واحد من شقي العبادة «الروحي والعمراني» أو كليهما، أو أنها في حالة من سوء التعامل والتخلف مع أحد نوعي العبادة أو مع كليهما، فقد تكون الأمة متقدمة في عبادتها العمرانية، ولكنها متقهقرة أو رقيقة

هزيلة في عبادتها الروحية، أو بالعكس قد تكون الأمة متقدمة قوية في عبادتها الروحية، ولكنها ضعيفة أو متخلفة أو ربما منحسرة عن ميادين ومحاريب العبادة العمرانية، ففي الحالتين بمعيار الإسلام تكون في ضعف وتخلف، فالتقدم المادي مع التخلف الأخلاقي عبثية ودمار، والتقدم الأخلاقي مع التخلف المادي غثائية وهوان، وفي الحديث الشريف:

«يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كم تتداعى الأكلة إلى قصعتها» قال قائل: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله .. ؟ فيجيب الرسول صلى الله عليه وسلم: «بل أنتم يومئذ كثير»

إذًا العلة في هذا الضعف والمهانة بين الأمم ليست قلة المسلمين «فهم يومئذ كثير»،وبالفعل نحن اليوم ولله الحمد كثير، ولكن العلة كما عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «ولكنكم غثاء كغثاء السيل»

العلة إذًا في غثائيتنا .. في انعدام وزننا الإبداعي والإنتاجي في ميادين الحياة .. العلة في تعطيل وهجران محاريب العبادة العمرانية في مناكب الكون وآفاقه .. والعلة كل العلة في التخلف عن تسخير ما سخر لنا، واستثمار ما أودع لنا من مكنونات في خزائن الكون وآفاقه، التي جعلها الله للإنسان يملكها ويوظفها لصالح حياته وتحديات

زمانه بالعلم والمهارة والإبداع .. والعلة كذلك في أدائنا الحضاري والمسلكي مع ما نملك من إمكانات وقدرات مادية الذي أصابه خلل وزلل :

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾الروم – ٣٠

فالعلة والقضية هي قضية خلل وغثائية في الأداء .. فإشكالية التخلف في حياتنا هي إشكالية خلل في أدائنا وتعاملنا مع قيم ومبادئ الإسلام .. إشكالية خلل في التوازن بين أدائنا في محاريب العبادة الروحية، وأدائنا في محاريب العبادة العمرانية .. وبسبب من هذا الخلل كانت غثائية حالنا بين الأمم .. وبسبب هذه الغثائية رتب الله علينا عقوبتين:

١. نزع مهابتنا من قلوب الأمم،

«ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم»

٢. وقذف الوهن والخور في قلوبنا،

«وليقذفن في قلوبكم الوهن»

قيل وما الوهن يا رسول الله .. ؟ قال عليه الصلاة والسلام:

«الوهن حب الدنيا وكراهية الموت»

هاتان عقوبتان نعاني منهما اليوم بسبب غثائية أدائنا في ميادين الحياة، وبسبب تعطيلنا وهجراننا لمحاريب العبادة العمرانية في مناكب الكون وآفاقه.

فإشكالية التخلف والتقدم إذًا ليس حلها مناط بفصل الدين عن الدنيا، أو بفصل الدين عن الدولة .. إنما حلها والتغلب عليها مرتبط بتفعيل العلاقة التوازنية بين البناء الروحي والبناء المادي لثقافة الإنسان وتكوينه الوجداني .. ومنوطة بإقامة توازن وتكامل وتلازم بين الثقافة الدينية، والثقافة المادية لسلوك الإنسان .. وإن إهمال أو تجاهل مثل هذا التوازن في التكوين التربوي للإنسان .. سيجنح به إلى حالة من حالات التطرف في مسيرة البناء الحضاري البشري .. وهذا بالفعل ما حدث في المسيرة البشرية عبر التاريخ.. وهذا ما حدث في التاريخ المعاصر .. حيث أفرز مثل هذا التجاهل للجانب الوجداني والديني لتربية الإنسان إلى ظهور إمبراطورية سياسية إلحادية.. تتبنى الإلحاد رسميًا وتصف الدين بأنه أفيون الشعوب.. مثلما أفرز تطرفًا ثقافيًا موازيًا في الاتجاه العلماني في الغرب.. وهكذا تبلور في العالم مدرستان علمانيتان رسميتان.. مدرسة علمانية إلحادية كان يقودها الاتحاد السوفيتي سابقًا.. ومدرسة علمانية إيمانية تقودها أمريكا اليوم والغرب بعامة..

ويتخلل هاتين المدرستين تياران ثقافيان شعبيان علمانيان.. تيار ثقافي علماني إلحادي.. وتيار ثقافي علماني إيماني.. وقد سقطت الإمبراطورية العلمانية الإلحادية، وكان سبب سقوطها «إهمال البعد الوجداني والروحي لبناء الفرد» كما عبر عن ذلك زعيمها الأسبق الرئيس ميخائيل جورباتشوف في كتابه الشهير «البيروسترويكا».. مما ترك آثارًا سلبية على تقدم واستمرارية التيار العلماني الثقافي الإلحادي الشعبي .. وأحسبه يعاني اليوم من سكرات الموت والفناء.. لأن الإلحاد متناقض مع طبائع الأشياء ومتصادم مع التكوين الفطري للإنسان.. أما التيار العلماني الإيماني فليس بينه وبين الدين مشكلة.. إلا في المساحة المتبقية من الخلل في التوازن بين البناء الوجداني الديني، والبناء المادي لثقافة الإنسان وتكوينه التربوي .. أو في الخلل الذي لا يزال قائمًا عند بعض المتطرفين، من العلمانيين والمتدينين بشأن اضطراب مفاهيم العلاقة الإيجابية بين الدين والدنيا في ميادين الحياة.. هذا بشكل عام على المستوى العالمي.. أما على المستوى العربي والإسلامي فأحسب أن المشكلة باستثناء نفر قليل من المتطرفين من المسلمين الذين لا يزالون يصرون على التسمية التصنيفية «إسلاميون وعلمانيون» في إطار الأمة الواحدة والهوية الواحدة والمصير الواحد والغايات والأهداف الواحدة،

أجل المشكلة العلمانية لم تعد ذات بال، وهي في طريقها إلى الزوال والمسألة مسألة وقت.. تحتاج إلى تأمل حكيم من كلا الجانبين الوهميين «الإسلامي والعلماني».. وأقول وهمي لأن المسألة بتقديري مسألة مزاج وعناد .. وقلت مرة لأحد شبابنا المتدين وهو يشن حملة قاسية على شخص، واصفًا إياه بالعلمانية والانحراف الديني وينعته با !؟ ، فقلت له يا أخي العزيز على رسلك.. فإن فلان هذا الذي تصفه بكذا !؟، فأنا أعرفه فهو أستاذ كبير ومفكر ومتدين ولا يقطع الصلاة.. ولو قست حاله على حال العلمانيين الإلحاديين المعروفين في العالم لعينته إمامًا في أحد مساجد هذا البلد.

الفصل الخامس

من ثقافة النمل إلى ثقافة النحل

ومما يشوه تكامل منهج الإسلام العظيم .. قعود الأمة عن المشي في الأرض واستكشاف مكنوناتها واستثمارها..الأمر الذي أضعف الأمة .. وألحق بها عوامل التخلف وأصابها بالمهانة والوهن .. مما يضع الأجيال المسلمة أمام عظم المسؤولية وضخامة التحديات التي تواجههم.. تجاه تصحيح حالة المسلمين.. وتجاه تعريف الآخر برسالة الإسلام ونهجه التكاملي بين المعبد والسوق.. فالآخر اليوم يبحث عن حقيقة مهمة الإنسان في الحياة ويسعى إليها، ويصغي بجدية لمن يلمس عنده شيئاً مما يتصل بها ويدل عليها. ومما يؤكد أسباب عجزنا في تجديد وتصحيح أوضاعنا المؤسفة في غالب بلداننا العربية والإسلامية، ومما يحول بيننا وبين التحارك والتدافع والتساخر مع الآخر في ميادين الإبداع والارتقاء، وفي ميادين محاربة الفساد والتخلف، إنما هو الاحتباس - في أحسن أحوالنا - في كنوز التراث ورياضه الغناء، من غير بذل جهد يذكر في التجديد

والإبداع، والتطوير والارتقاء، والسبب الأسوأ - بتقديري - لتعطيل مسيرتنا الراشدة، هو إهمال وتجاهل التراث على الإطلاق - في معظم بلداننا - والتحول إلى حالة التسول والاستجداء من الآخر، ويا ليتنا أحسنا فن التسول ، ويا ليتنا أحسنا مهارة الاقتباس من الآخر، والاستفادة مما هو إيجابي ومفيد لديه، بل للأسف وفي غالب أحوالنا خرجنا من المولد بدون حمص - كما يقول المثل - فلا نحن بقينا مع تراثنا، ولا نحن أحسنا الاستفادة من الآخر، وأصبحنا - إلا من رحم ربي- في حالة لا نحسد عليها، حالة تكاد تكون معها غالب مجتمعاتنا مجهولة الهوية، لا لون لها، ولا طعم ،ولا رائحة، إن لم تكن رائحتها - أحياناً - غير مرضية، وهذا يتطلب حراكاً جاداً، وانبعاثاً نوعياً صادقاً، يتحول بالأمة من ثقافة الاستهلاك إلى ثقافة الإنتاج، أو إن شئنا التواضع والموضوعية - فلنقل من باب التدرج- إننا بحاجة للتحول بأنفسنا وأوضاعنا من ثقافة العالة على الغير، إلى ثقافة الاكتفاء والاعتماد على الذات، ولنكون على الأقل على درجة من المحاكاة مع ثقافة النمل، ونهجها الجمعي المسؤول الدؤوب في تأمين حاجاتها ومتطلبات حياتها، لتعيش من بعد عزيزة كريمة، من غير ارتهان لأحد في أمنها الغذائي أو في أمنها الاجتماعي، ولعلنا من بعد نوفق لنرتقي بأنفسنا إلى ثقافة الإنتاج والإبداع والعطاء في

ميادين الارتقاء، والإسهام في ميادين النفع البشري العام، ولعلنا نكون من بعد - وعلى الأقل - على مستوى ثقافة ما ضرب الله لنا به مثلاً أي ثقافة النحل:»

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ ٦٨، ٦٩ / النحل

إن مما يلفت النظر هنا أن الله جلّ جلاله كرّم النحل، فأوحى إليها مباشرة، وهذا بفهمي تعظيم وإجلال لهذه الحشرة، بل هذا المخلوق الجليل، وتعظيم لنهجها ومهمتها ونظام حياتها القائم على التعاون الجماعي، وعلى العمل والأداء الجمعي المنظم المحكم، ويزيد سبحانه في التكريم، والرعاية، والعناية بهذا المخلوق العظيم، فيرسم لها سبحانه منهج حياة متكامل، كيف تسكن، وكيف تسعى في الرزق، مع تفويض مطلق بأن تأكل من كل الثمرات، ثم يؤهلها لتكون من بعد مصدر نفع ومصنع غذاء وشفاء للناس، لاشك أن عالم النحل وأمة النحل، وثقافة النحل، جديرة بالتأمل والدراسة، مثلما هي جديرة بأن يتأسى بها العقلاء والمفكرون كما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ ﴾ النحل: ١١.

وبعد أليس من المخجل لبني آدم وقد كرّمهم ربهم، وفضلهم

على كثير ممن خلق تفضيلاً، أن يكونوا في حياتهم أقل مرتبة وأقل عزيمة، وأقل دأباً ومثابرة، وأقل وفاء وإخلاصاً وحمداً، وأقل التزاماً وانصياعاً لأمر الله ومشيئته من النحل وأمة النحل، وقد أنعم الله سبحانه علينا بأكثر وأجل مما أنعم به على النحل، وأوحى إلينا وأرسل إلينا أنبياءه ورسله، ومن ثم أليس أكثر خجلاً، وأعظم مثلبة في حياة المسلمين، حملة القرآن الكريم، وأتباع سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، أن تكون أمتهم أقل شأناً من أمة النحل، بل ودون ما عليه أمة النمل، من اجتماع كلمة وتظافر جهود ووحدة موقف، أو ليس محزناً أن تكون ثقافتنا وكفاءاتنا ومهاراتنا متخلفة عن ثقافة وكفاءة ومهارات أمة النحل، وحتى متخلفة عن كفاءة ومهارات وثقافة أمة النمل .

لاشك إنها حالة مخجلة تلك التي تمر بها اليوم أمة الإسلام في أكثر بلدانها، ولا شك إنها لحالة مؤسفة ومؤلمة أن لا تكون أمتنا على مستوى خيرية الإسلام ورسالته العلمية السامية الخالدة، وإنه لمؤسف ومحزن جداً أن تغيب أمتنا عن مواقع الوسطية بين الأمم، وأن تتخلف عن شرف النهوض بمهمة الشهود الحضاري على الناس.

إن البشرية اليوم لفي أشد الحاجة لشفاء الضمائر والعقول، وبحاجة إلى إنارة البصائر والقلوب، وأن الناس لفي حاجة ملحة

إلى من يقدم لهم بموضوعية وعلمية ومهارة قيم الإسلام العظيم، وييسر لهم بلغة عصرية، وبتقنين دستوري مبادئ ومنطلقات رسالته العالمية ومقاصدها السامية، فنحن بحق لا زلنا نتعامل مع إسلامنا وكنوزه القيّمة العظيمة الجليلة - وفي أحسن أحوالنا - وفق ثقافة النمل، فالنمل يجهد نفسه بإلحاح ودأب ليجمع ما يوفر قوته، ويسد حاجته، ويكفيه المسألة والتسول والعالة على الغير، وهذه بلا شك حالة محمودة ومرتبة راقية في حياة الأمم وسيرتها، يوم ترتقي بنفسها، وتبذل طاقتها، وتجند إمكاناتها، لتحقق حالة الاكتفاء الذاتي، وحالة الاستغناء عن استجداء الآخرين، أو فك حالة الارتهان لما بأيدهم على حساب كرامتها وعزتها وسيادتها، ولعمري أن تعظيم الله جلّ جلاله لشأن النمل الذي سجله في قرآنه الكريم، إنما جاء تعظيماً لنهجها وهي تسعى لتحقيق حالة الاكتفاء الذاتي، عبر جهدها الدؤوب ، وأدائها الجمعي الجليل، وحراكها المنظم في صفوف متراصة، وأسراب متواصلة لا تكل ولا تمل، ولا يتسرب إليها اليأس، ولا تعرف وساوسه .

وقد تأملت سورة النمل وتساءلت مع نفسي منذ زمن بعيد - ولأكثر من مرة - لماذا سميت هذه السورة باسم النمل .. ؟ فهي دابة ضعيفة المظهر، وحشرة صغيرة القوام لا تكاد تبين، والسورة

لم تتحدث عن النمل إلا في آية واحدة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾١٨/ النمل

أما باقي السورة فقد تحدثت في تفصيل مبدع عن الكون وأمور كثيرة وجليلة لا علاقة لها بالنمل، ومع ذلك سميت السورة باسم النمل، وبعد تأمل أدركت شيئاً من حكمة وأسباب هذه التسمية، والذي - بفهمي - جاء تقديراً لنهجها ودأبها، وتعظيماً لتعاونها وأدائها الجمعي، وإجلالاً لمهاراتها وصبرها ومصابرتها، وكدحها الحثيث في ميادين الحياة، من أجل تأمين موارد رزقها، وتحقيق حالة الاكتفاء الذاتي، الذي يغنيها عن مسألة من سواها، ويحررها من أسباب الارتهان في سيادتها وأمنها لما بأيدي غيرها من رزق ومقومات حياة .

وكأن الله تعالى أراد بهذين المثلين العظيمين، ومن خلال تعظيمه سبحانه حياة مخلوقين من أضعف خلقه، أن يقرع أفئدة وعقول عباده المؤمنين، ليكونوا على مستوى ما كرمهم الله به من إيمان ونعمة الإسلام، وليكونوا على مستوى ما شرفهم به فجعلهم خير أمة أخرجت للناس، وليذكرهم بأن الكثرة والضخامة بدون مضمون كفاءة ومهارة وحسن أداء، لا تعني بحال أي شئ، فالكفاءة والمهارة

والإبداع وحسن الأداء، هو الأساس في الفلاح والصلاح والارتقاء في ميادين الحياة،يستوي في ذلك الضعيف والقوي، والصغير والكبير، والكافر والمؤمن، والهزيل والضخم، وذات مرة ضحك الصحابة وهم يرون الريح تخفق وتهز ساق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وهو يمتطي غصن شجرة، وذلك لصغر حجمه وضعف بنيته، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة وهم يضحكون ثم قال: «والذي نفسي بيده لقدم عبد الله بن مسعود أوزن عند الله من جبل أحد»، فالمسألة ليست مسألة أوزان وأحجام، ولا مسألة كثرة وقلة، ولكنها مسألة مهارة وإبداع، ومسألة كدح ودأب، ومسألة جدية ومسؤولية،وذات مرة خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة قائلاً: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله..؟ قال عليه الصلاة والسلام: لا ولكنكم يومئذ غثاء كغثاء السيل ..الحديث»، لذا ينبغي ونحن نتأمل بشكل عام حالة تخلفنا وعجزنا عن مواكبة أو استئناف مسيرتنا الحضارية الراشدة، أن ندرك وأن نضع بحسباننا وبكل جدية وموضوعية، بأن المدخل الصحيح لتغير حالنا وتحسين أحوال أمتنا، لن يكون إلا بالتكامل الوثيق بين العلم والإيمان، وبين مهارات الإبداع وأخلاقيات الأداء .

أجل إننا بحاجة ملحة إلى الانتقال والتحول بأنفسنا من ثقافة العالة إلى ثقافة الاكتفاء، ومن ثقافة الاستهلاك إلى ثقافة الإنتاج والإبداع والارتقاء، لنكون من ثم قادرين على التحول إلى ثقافة العطاء والمساهمة في ميادين التصحيح والترشيد، وإلى ثقافة التنافس في ميادين البناء الحضاري البشري الآمن، فلا أقل من أن نكون كالنمل في كدحها وصبرها وأدائها الجمعي المسؤول، ولا أقل من أن نكون كالنحل في ممارسة ثقافة الإنتاج والإبداع والعطاء، وفي تحقيق مراتب الارتقاء والمساهمة في رسالة الشفاء والتصحيح والبناء المادي في ميادين الحياة ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ النحل: ٦٩، بل علينا أن نكون الأجدر بتفعيل ثقافة الاكتفاء، والأقدر على تحقيق ثقافة الإنتاج والارتقاء، ودخول ميادين التنافس في مدارج الإبداع والعطاء، ومن ثم الانبعاث والاستئناف في ميادين التصحيح والترشيد الحضاري البشري، وفي ميادين البناء الحضاري الآمن، فلعمري أن البشرية اليوم لهي أحوج إلى شفاء الضمائر والعقول منه إلى شفاء الأبدان والبطون، وفي كل خير «فالمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف»، وأن الناس اليوم لأحوج إلى الاستشفاء بالقيم والمبادئ منه إلى الاستشفاء بالعسل والطيبات وفي كل خير .

فهلا نفر من أمتنا فرقة تسلك سبل ربها ذللاً بين النصوص الدينية والمبادئ والقيم الشرعية، وتجول في كنوزها وتستنطقها كما استنطقها الذين من قبلهم، ولتخرج لنا من بطونها كما أخرج لنا الأولـون، ما تشفى به عقول الناس وقلوبهم، ومـا تتطهر به نفوسهم وأرواحهم، وما تفعل به إمكاناتهم وطاقاتهم، وما ترتقي به مهاراتهم ويحسن به أداؤهم في ميادين الحياة، ولتتحول بالأمة من ثقافة الاستهلاك..إلى ثقافة الإنتاج،ومن ثقافة التبعية والتقليد.. إلى ثقافة التنافس والإبداع والارتقاء، أو إن شئت فقل وباختصار التحول بأنفسنا من ثقافة النمل إلى ثقافة النحل.

الفصل السادس

الإسلام .. والأمن الإقليمي والعالمي

إن من عظمة رسالة الإسلام أنها جاءت بشكل إجمالي لتحقيق مقاصد رئيسة أساس في حياة الناس منها:

1. إقامة الحياة،

- ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال: ٢٤

2. إقامة العدل،

- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ النحل: ٩٠

3. إجلال كرامة الإنسان،

- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ الإسراء: ٧٠

4. تأكيد قدسية حياة الإنسان،

- ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة: ٣٢

5. إشاعة الرحمة بين للناس،

- ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ الأنبياء: ١٠٧

٦. لتقوم مبادئ الأخلاق بين الناس،

● «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»

٧. ترسيخ الأمن في الأرض،

● ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ النور: ٥٥

إن مسألة الأمن الفردي.. والأمن الاجتماعي.. والأمن الإقليمي.. والأمن الدولي .. هي من أهم تطلعات الإنسان في الحياة والإسلام نظر إليها على أنها دوائر متكاملة متلازمة فيما بينها، بدءًا من دائرة الأمن الفردي وانتهاءً بدائرة الأمن البشري العالمي.

فدائرة الأمن الفردي في منهج الإسلام..هي اللبنة السليمة والمتينة لبناء الأمن الاجتماعي والإقليمي والعالمي .. والأمن الوجداني هو أساس بناء الأمن الفردي للنوع البشري.. والإسلام جعل مسألة الإيمان بالله الواحد الأحد وإخلاص العبودية لله .. هي أساس تحرير ضمير الإنسان من أي عبودية أخرى لغير الله .. وأساس تحرير وجدان الإنسان من مغريات الدنيا ومخاوفها .. وأساس الطمأنينة والاستقرار النفسي للفرد:

﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ الرعد: ٢٨

والأسرة في الإسلام هي ينبوع الأمن الفردي.. واعتبرها هي المؤسسة الأولى والأهم في بناء ورعاية الأمن القومي الاجتماعي،

الإقليمي والدولي على حد سواء، وذات مرة قال كنفوشيوس:

«إذا قام البيت على أساس سليم أمن العالم وسلم»

ففي الأسرة تتأسس الوشائج الوجدانية للفرد.. وفي الأسرة ترسم مساراته النفسية .. وفي حنان الأم والأب تفعم نفسه ومشاعره بمعاني الحب والرحمة .. وفي الأسرة تنشأ مسؤوليات الفرد تجاه نفسه وتجاه الآخرين:

«ألا كلكم راعٍ ألا وكلكم مسؤول عن رعايته .. الأمير الذي على الناس راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل في بيته راعٍ وهو مسؤول عن رعيته .. والمرأة في بيت بعلها راعٍ وهي مسؤولة عنه .. والولد (الذكر والأنثى) في بيت أبيه راعٍ وهو مسؤول عن رعيته .. والخادم في بيت سيده راعٍ وهو مسؤول عن رعيته .. ألا كلكم راعٍ .. ألا وكلكم مسؤول عن رعيته» الشيخان

«أجل إذا قام البيت على أساس سليم أمن العالم وسلم»

لاشك أن الاهتمام الكبير بالأمن الفردي.. إنما هو توطئة وتهيئة لقيام الأمن الاجتماعي.. ومن ثم لقيام الأمن البشري.. فالأمن الإقليمي، والأمن الدولي والبشري، أمران متكاملان ومتلازمان .. والواقع المعاصر يؤكد ذلك ويلح عليه .. ومن هنا جاء الاهتمام المبكر للإسلام بتنشئة ورعاية مسؤوليات الإنسان ..

كما جاء الاعتناء بالتكامل والتوازن بين حقوق الإنسان وواجباته .. فبمثل هذا التكامل والتوازن تنتظم العلاقة الإيجابية والمسؤولة بين سلوكيات الإنتاج وسلوكيات الاستهلاك في حياة الفرد والمجتمع،وفي سلوكيات الأمم والمجتمعات الدولية .. حيث أن مثل هذا الاختلال في التوازن بين مسؤولات الإنتاج والاستهلاك هي من إحدى أهم مصادر الخلل الأمني في العالم .

والإسلام من خلال رسالته العالمية قد اعتنى عناية فائقة بالأمن العالمي .. وأقام علاقة وثيقة بينه وبين الأمن الإقليمي .

إن نظرة الإسلام للأمن العالمي .. تقوم على أساس رباني راسخ .. وهو أن الأرض لله والخلق كلهم عباده .. يمكّن لمن يشاء فيها منهم، وفق معايير بذل الجهد والمهارة والإصلاح .. دون تمييز بينهم في الحياة الدنيا: ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ ١٠ / الرحمن

أما الآخرة فشأنها محكوم بمعايير الإيمان الصحيح والتقوى:

﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ هود: ٤٩

ومنهج الإسلام في تحقيق الأمن العالمي .. يقوم على أن العدل لجميع البشر على الإطلاق وفي كل الأحوال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ ٥٨ / النساء

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ٩٠ / النحل

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ ٨/ المائدة

وهذا العدل ينبغي أن يقوم ويبذل للناس جميعًا .. على اختلاف أديانهم وأعراقهم وألوانهم وأجناسهم دون تمييز .. حتى مع حالات الخصومة والكراهية:

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ٨/المائدة

ومن منطلقات التصور الإسلامي للأمن البشري .. هو أن الله تعالى لا يهلك أممًا ما دام أهلها من المصلحين في الأرض:

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ ١١٦- ١١٧/هود

إنما الهلاك والدمار والخسران في الدنيا والآخرة .. لأولئك الماضين في الظلم والفساد في الأرض

﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ ٥٩ / القصص

فالظلم هو أساس كل مفسدة . وهو الجذر لشجرة الضلال والغي والرذيلة في مسير حياة الناس.. والله سبحانه وتعالى يمقت

الظلم والظالمين أيًا كان دينهم أو انتماؤهم .. وينتصر للعدل ويبارك فيه أيًا كان مصدره وأيًا كانت ديانة القائمين فيه:

«إن الله لينتصر للدولة الكافرة العادلة على الدولة الظالمة المسلمة» ابن تيمية.

وانتصار الله جلّ جلاله للعدل .. هو انتصار لذاته جلّ وعلا .. فالعدل اسمه .. وهو من أسمى وأجل أسمائه وصفاته .. فلئن كان الشرك هو الظلم العظيم:

● ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ لقمان: ١٣

فإن مما لا شك فيه: «أن التوحيد لعدل عظيم»

فالعدل العظيم: هو التوحيد العظيم لذات الله تباركت أسماؤه.. وهو الإذعان والانصياع الخالص لمراده.. وهو الإيمان الراسخ بفرديته وصمديته .. وبأنه سبحانه الواحد الأحد لا شريك له.

إن منطلقات الإسلام للأمن البشري على النحو الذي ذكر.. تأسس لمنهجية سلوك المسلم بين الناس.. مثلما ترشد وتنصح وتعظ غير المسلمين:

● ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ النحل: ٩٠

بأن يتأملوا هذه المرتكزات.. لعلها تكون سبيلاً ومنطلقًا مشتركاً لمشروع إصلاحي عالمي .. يصحح المسيرة البشرية ويرشدها.. لتكون من بعد مسيرة عدل وأمن وسلام للناس جميعًا .

وعلى أساس من هذا التصور الشامل للأمن العالمي.. وعلى أساس من منهجية الإسلام في التأصيل لقيم وثقافة العدل والأمن والسلام العالمي.. فإنني أستطيع القول بكل ثقة ويقين: أن رسالة الإسلام قد أقامت التكوين التربوي والثقافي للفرد المسلم على أساس من المسؤولية الشمولية تجاه الحياة .. وعلى أساس من مبدأ المسؤولية المشتركة مع الآخر .. من أجل إنجاز المهمة الربانية المشتركة للجميع وهي:

١. عمارة الأرض واستثمار خيراتها،
٢. إقامة الحياة وفق متطلبات كرامة الإنسان،
٣. إقامة العدل دون تمييز بين الناس،
٤. صون سلامة البيئة وعدم الإفساد في الأرض.

وهذا كله على حد سواء.. في المستوى الوطني الإقليمي وفي المستوى الوطني العالمي .. فالمواطنة في الإسلام - من وجهة نظري - تتجاوز المعنى التقليدي للمواطنة الإقليمية.. إلى معنى أشمل وأجل وهو المواطنة العالمية .. لذا أرى أن هناك نوعين من المواطنة- بتقديري - في التصور الإسلامي لرسالة الإسلام العالمية الخالدة:

١. المواطنة الإقليمية،

٢. والمواطنة العالمية .

لا شك أن لكل من هاتين المواطنتين خصوصياتها.. وتترتب للإنسان في إطارها حقوق وواجبات ومسؤوليات.. إلا أن هناك مسؤوليات مشتركة بين الناس جميعًا.. من أجل صيانة واحترام مصالح الناس وأمنهم واستقرارهم.. وتوفير أسباب المناخ الآمن للتنمية الراشدة والازدهار والتقدم لكل المجتمعات .

وبين يدي بلورة ميثاق عالمي .. وتأصيل ثقافة مسؤوليات مشتركة تجاه المواطنة العالمية .. وضع الإسلام منطلقات سبعة:

١. التعارف،

٢. التدافع،

٣. التعاون،

٤. التساخر،

٥. التراحم،

٦. التنافس،

٧. التناصح.

وذلك كله عل أساس من الاعتقاد والإيمان:

١. بأن الناس ربهم واحد .. تأكيداً على وحدة مصدرية الإيمان،

٢. بأن الناس أباهم واحد.. تأكيداً على الأخوة الإنسانية ووحدة الأسرة البشرية،

٣. وأن دماء الناس وممتلكاتهم محرمة بينهم.. تأكيداً على قدسية حياة الإنسان وممتلكاته،

٤. وأن الربا محرم بين الناس.. تأكيداً على الأمن الاقتصادي وتحريم استغلال حاجة الفقراء،

٥. وأن أربعة أشهر من كل عام أشهر سلام، محرم فيها القتال والصيد وانتهاك البيئة تأكيداً على ثقافة السلام والأمن في تربية الأجيال،

٦. وأن الرجل والمرأة متكاملان في حقوقهما وواجباتهما.. تأكيداً على أنهما شريكان متكاملان في مسؤوليات الحياة،

٧. وأن الظلم محرم بين الناس .. تأكيداً على أن العدل هو الحارس الأقوى والأضمن لأمن الناس وأوطانهم .

ولتأصيل وترسيخ هذه المرتكزات،والمنطلقات، والقيم، والمعايير أدخل الإسلام ذلك كله في صلب عبادة الله، وفي متطلبات تحقيق مرضاته.. لتصبح أساسًا راسخًا في تكوين الوجدان الديني للفرد المسلم والأمة المسلمة.. ولتصبح سمة أصيلة في سلوك المسلم وغايةً من غاياته التعبدية في ميادين الحياة:﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ١١٢ / هود

﴿ فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ٨٩/ يونس

«المؤمن الكيس: من عرف زمانه واستقامة طريقته» قول مأثور

الفصل السابع

كلمات مختصرة للمؤلف

- من مفاخر الإمـام المؤسس الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- أنه أبى الانحباس في خانة أعمال من سبقوه.. فانطلق بعزيمة التجديد والارتقاء يعمل فوق ما عملوا.. فأقام بذلك صروح مملكة شامخة في مسيرة أمتنا المعاصرة.. فها هي اليوم أمل المسلمين في تعزيز وحدتهم.. واستعادة عزتهم ومجدهم بين الأمم.

وقرأ ذات مرة بيت الشعر الذي يقول:

نبني كما كانت أوائلنا   تبني ونعمل مثل ما عملوا

فقال لمن حوله: اجعلوا عبارة "**فوق**" بدلاً من عبارة "**مثل**" في الشطر الثاني ليصبح البيت على النحو التالي:

نبني كما كانت أوائلنا   تبني ونعمل فوق ما عملوا

تأكيداً منه على عزيمة التجديد والإبداع والارتقاء في ميادين الحياة.

- ومن مفاخرة أمتنا أنها اخترعت الصفر.. ومن مآسيها -للأسف- أن بعضاً من أبنائها اليوم -عن قصد أو بدون قصد- يريدون لها الانحباس في خانة الصفر.. أو على أحسن تقدير الانحباس في خانة صروح مفاخر السلف والأجداد.. يتغنون بها شعراً.. ويستمتعون بمآثرها نثراً.. بعيداً عن ميادين التجديد والتطوير والإبداع.
- وبعد فإني لأرجو "أولاً" أن لا ينحبس المقبلون اليوم على الحوار استجابة وتفاعلاً مع مبادرة خادم الحرمين الشريفين التاريخية للحوار في خانة الصفر.. تجاوزاً أو تجاهلاً منهم لما أُنجزَ من نتائج إيجابية عبر المسيرة الرائدة المعاصرة للحوار في منهج المملكة العربية السعودية.

وإني "ثانياً" لأدعو كل المؤمنين بالحوار سابقاً ولاحقاً أن يتأسوا بمنهج الإمام المؤسس الملك عبدالعزيز -طيب الله ثراه- "نعمل فوق ما عملوا" لتتحقق -بعون الله وتوفيقه- آمال عزيمة الإمام المجدد الملك عبدالله بن عبدالعزيز -سلمه الله تعالى- من الحوار.. ولتقوم وتشمخ صروح مقاصده الإنسانية النبيلة.

- التاريخ ينبئنا .. والحاضر يقرئنا .. أن تخلف الحضارة..

وانتكاس مسيرتها .. وزوال سلطانه وسيادتها .. يكون مع تدهور قيمها .. وتهدّم حصون ثقافتها.. وانحدار أدائها السلوكي في ميادين الحياة.

- إن حصانة الحضارة الإسلامية .. ومناعة بنيتها .. وعزيمة ثباتها .. ومرونة استجابتها للتحديات .. واستعدادها للنهوض والاستئناف والشموخ .. يكمن في قوة مرتكزاتها الإيمانية .. وصلابة منطلقاتها الثقافية .. وقدراتها الذاتية على التجديد والارتقاء.
- قد تنتكس الحضارة الإسلامية .. وقد تتخلف في شقها المادي والتكنولوجي .. وتضعف فاعلية أداء أبنائها في ميادين الحياة .. وربما تخبو هيبة سلطانه .. وتتراجع قوة سيادتها .. لكنها لن تصاب بحال بقيمها وقوة إيمانها .. ولن تهتز ثوابت عزيمتها وقدرتها على التجديد والاستئناف والارتقاء.
- الناس سكنى نفوسهم، فإذا أردتم الدخول إلى هذه النفوس البشرية والتعامل معها، فاستأنسوها، وسلموا على ساكنيها.. عملاً بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ ﴾ النور: ٢٧

- السياسي الحاذق لا يقول " لا " ..! فإن اضطر لها .. قالها بصيغة إيجابية.
- العلمانية بفتح العين " العَلمانية «.. أو بكسرها « العِلمانية «.. وبجذريها اللغويين « العَالم» بمعنى الدنيا، أو « العِلم « من التعلم .. فالإسلام يبقى رحم مولدها .. وتربته منشأ غرسها .. وفي ظلاله تترعرع كلماتها .. وتشمخ فروعها .. وتؤتي أوكلها الطيب اليانع في كل حين.
- من مفاخر أمتنا أنها اخترعت الصفر .. ومن مآسيها أن بعضًا من أبنائها عن قصد أو بدون قصد يريدون لها أن تحبس في خانة الصفر.
- الرجل الرشيد يبدأ بنفسه فيهزم نزواتها..! من أجل أن تنتصر الأهداف الجليلة والغايات النبيلة.
- إقامة الحياة .. وعمارة الكون .. وإقامة العدل غايات أساس لرسالة الإسلام الخالدة.
- العقد الاجتماعي " البيعة " في الإسلام يقوم على التلازم بين عقدين : عقد الإيمان وعقد الأداء في الحكم .
- عقد الإيمان يمثل الفارق الجوهري بين البيعوية والديمقراطية ، حيث أن الديمقراطية تقوم على عقد الأداء فقط مع تغييب

عقد الإيمان .

- عقد الإيمان في البيعوية يرد مرجعية التشريع إلى الله تعالى،
- بينما عقد الأداء في الديمقراطية يرد مرجعية التشريع إلى الشعب ، وهذا ينشئ فوارق جوهرية بين المنهجين.
- الديمقراطية تركز على الوسائل والآليات على حساب الأهداف والغايات،
- بينما البيعوية تركز على الغايات والأهداف،وجعلت الوسائل طوعاً لها تتغير بمقتضى الأحوال والأزمان والتراضي بين الناس.
- البيعوية تقرر التكامل والتناصح بين مسؤوليات طرفي عقد الأداء وفق ضوابط عقد الإيمان ،
- بينما الديمقراطية تقوم على أساس التعارض والتضاد بين مسؤوليات طرفي عقد الأداء .
- العالمية والعولمة أمران متكاملان ومتلازمان ،فالعالمية بدون عولمة تبقى نظريات آمال ، والعولمة بدون عالمية عادلة تتحول إلى عبثية ودمار .
- الحوار بين الثقافات والحضارات واجب ديني، ومطلب

حضاري ، ومسلك أخلاقي ، لتحقيق مصالح العباد وأمنهم المشترك.

- التاريخ المشرق للأمم في النهاية لا تصنعه الحروب وتجار صناعة الموت، إنما تصنعه العقول الراشدة عبر الحوار.
- السلام إسم الله فدعونا نحيا في سبيل الله ، فالله يدعو إلى دار السلام.
- الحياة في سبيل الله هي السبيل الصحيح والمعيار السليم والأضمن للموت في سبيل الله .
- نذكر دعاة الحروب وسماسرة الدمار بأن الحروب لن ترحم أحداً ، فهي رحلة اللاعودة ، وأن الربح الدائم والأنفع مع تجارة إقامة الحياة.
- من إشكالاتنا الدينية في سياق إشكاليات أدائنا الحضاري والحياتي .. هي إشكالية اضطراب مفاهيم مسؤوليات تدين الفرد ، ومسؤوليات تدين الدولة .. أو اضطراب مفاهيم فقه تدين الأفراد ، ومفاهيم فقه تدين الدولة عند بعض شبابنا ، وكذلك – للأسف – عند بعض علمائنا .. وبداية أقول:
- أن فقه تدين الأفراد غالباً يقوم على الأخذ بالتحوط والتشدد (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) ، بينما فقه تدين الدولة

يدور حول تحقيق المصالح ، ومراعاة حال عموم الأمة (سيروا بسير أضعفكم) ، وبذلك يغلب على فقه تدين الأفراد الأخذ بالتشدد، بينما يغلب على فقه تدين الدولة الأخذ بعزيمة الرخصة والأيسر ،

- وفي ميادين القتال فإن فقه تدين الأفراد يميل في الغالب إلى التضحية والفداء ، بينما فقه تدين الدولة يقوم على الأخذ بأسباب السلامة وحقن الدماء .
- التوازن بين حركة العلوم والتكنولوجيا وبين القيم الدينية والأخلاقية هو الأساس المتين لصون كرامة الإنسان وحفظ سلامة البيئة وتحقيق التعايش البشري الآمن .
- الإسلام خفف عن المرأة بعض المسؤوليات ومنحها بعض الامتيازات تقديراً لاضطلاعها بمسؤوليات الأمومة والطفولة.
- الإسلام يقرر التكامل المنصف بين مسؤوليات الرجل والمرأة في ميادين الحياة
- الأسرة المؤسسة على الزواج الشرعي بين الرجل والمرأة هي الأساس لأمن المجتمعات المتحضرة .
- الإسلام يؤكد أن الأسرة مؤسسة أساسية من مؤسسات

المجتمع المدني ، وأنها المقوم الأقوى من مقومات أمنها القومي والحضاري .

- الدفاع عن النفس وما يخصها حق مقدس تقره الأديان والمواثيق والأعراف الدولية ولا يجوز بحال ربطه بالإرهاب .
- القيم الدينية والروحية هي المصدر الأساس لتحقيق الحياة الأفضل للأسرة البشرية ولكل حياة على الأرض .
- الإيمان بوحدة الأسرة البشرية منطلقا لتأكيد احترام الأخوة الإنسانية .
- عمارة الأرض وإقامة العدل واجب ديني ومطلب حضاري .
- إن ثقافة الأجيال اليوم وسلوكياتها الشاذة هي ثمرة المصادر الثقافية والتربوية الأكثر تأثيرا مثل أفلام العنف والسطو والاغتصاب والتحلل الجنسي ، والتفكك الأسري ، والتفسخ الاجتماعي ، والترويج لظاهرة تعاطي المخدرات ، والاستهتار بالقيم الدينية والإيمانية والأخلاقية .
- أن تماسك البناء الداخلي لأي مجتمع يبقى القاعدة الصلبة التي تقوم عليها صروحه الحضارية وتتحقق بها طموحاته الحاضرة والمستقبلة .
- الحضارة عندنا وفي معتقدنا ليست حضارة قوم بعينهم ،

ولا جنس بعينه ولا حضارة عرق ما ولا حضارة لون معين .. بل حضارة ربانية إنسانية عالمية ، غايتها وهدفها التعايش العالمي ، والرفاهية العالمية ، والسلام العالمي على أساس من التصور المحايد لمفهوم الحضارة .

- أود أن أؤكد بأن الإسلام هو النظام الوحيد الذي تعامل مع رسالة الإنسان في الحياة بمنهجية شاملة ومتكاملة ، كما أن الإسلام هو النظام الوحيد الذي أكد المعادلة الدقيقة بين حقوق الإنسان وواجباته ،واعتبر أي إهمال لحقوق الإنسان أو واجباته إنما هو نوع من الاعتداء على رسالة الإنسان في الحياة .
- لا أحسب أحدا يجادل بأن المسيرة البشرية اليوم تعاني من أزمة حادة في القيم ، ومما لا شك فيه كذلك أن مأساة تدهور كرامة الإنسان وانتهاك حقوقه إنما هو ثمرة مؤلمة لأزمة القيم المتفاقمة في العالم .
- أن المصدر الأساسي والجذر العميق لكل الشرور والمفاسد التي نعاني منها في حياتنا المعاصرة، إنما مرده لغياب العدل بين الناس والمجتمعات على امتداد الأرض..وقضية الصراع الإسرائيلي الفلسطيني ينبغي أن تفهم في هذا السياق..أحسب

أنها أسوأ حالة للظلم في التاريخ البشري .

- الإسلام : عقيدة ، وشريعة ،ورسالة
- العقيدة : تمثل الخصوصية الدينية للمسلم التي تميزه عن غيره ، شأنها في ذلك شأن عقيدة أي دين في تمييز أتباعها عن الآخر، والإسلام حسم هذه المسألة بالنسبة لغير المسلم فقرر قاعدة : لكم دينكم ولي دين ، وكذلك قاعدة: لا إكراه في الدين .
- الشريعة بدورها تقوم على نوعين من القوانين : قوانين الأحوال الشخصية ، وقوانين المصالح العامة للشعب . فبالنسبة للأحوال الشخصية فقد حسم الإسلام هذه المسألة بالنسبة لغير المسلم حيث أعطاه الحق بأن يتعامل في ذلك مع قوانين دينه ومعتقده .
- وفيما يتعلق بقوانين ومبادئ المصالح العامة في الشريعة الإسلامية ، فالمسلم وغير المسلم أمامها سواء بسواء لا تمييز بينهما .

وعلى أساس مما تقدم من توضيح ، لا أحسب أن هناك مشكلة لغير المسلم في ظل الشريعة الإسلامية

- البرلمانية أوحت بمنهجية التضاد والمعارضة بين فئات

الشعب في ميادين تسيير مصالحهم ، بينما تقرر الشورى مبدأ التناصح والتعاون في ميادين الحياة .

- اللبرالية اعتبرت المسائل الأخلاقية شأن شخصي تدخل بالحريات المطلقة للأفراد ، أما الإسلام فيقرر منظومة أخلاقية متكاملة وملزمة للجميع ، وأن الحريات الفردية محكومة ومنضبطة بالمعايير العليا لقيم الإسلام وتقاليد المجتمع بعامة .
- الأصولية باختصار : هي التزام كل إنسان بثوابت ومنطلقات ما يعتقده وما يؤمن بصحته ، أي الالتزام بأصل وجذور ومقومات اعتقاده . وعلى هذا الأساس فإن لأتباع كل دين أو مذهب أو ثقافة أصوليتهم ، التي ترتكز على ثوابت ومنطلقات وجذور منشأ الاعتقاد لديهم.
- نعم من حق الأمم أن تغضب وأن تحدثها نفسها بالثأر ، ممن انتهك سيادتها وهزّ أركان أمنها ودمر رمزية عظمتها ، إلا أن الأمم العظيمة من شأنها ألا تخرجها الأحداث الجسيمة عن توازنها الثقافي ، وألا تعطل قيمها ومثلها الحضارية ، وألا تدع الحدث مهما كبر وعظم أن يحبسها أو يحجزها عن ممارسة أخلاقيات رسالتها الحضارية في الحياة ، فهي إن وقعت في

مثل ذلك فقد أعطت للحدث فرصة تحقيق أهم أهدافه .

- البرلمانية تعتمد الأكثرية معياراً مطلقاً لتقرير الخطأ والصواب ، بينما الشورى تقرر الثوابت الربانية معياراً مطلقاً لتقرير الخطأ والصواب في أفعال الناس .
- اللبرالية تقرر أن ممارسة السلطة من الحقوق والمكتسبات ، بينما الإسلام يعتبرها من التكاليف والتضحيات والواجبات.
- التأكيد على أن الحضارات بشقها المادي والتكنولوجي ارث بشري عام ، يجب المحافظة على الجوانب الايجابية منها وتعميم نفعها بين الناس وتطويرها وتنميتها لتكون في صالح أمن ورفاهية المجتمعات البشرية كافة.
- أحسب أنه من الخطأ عندما يصر اليهود على اعتقادهم بأنهم شعب الله المختار وأن بقية البشر من الدرجة الثانية، نعم أنا أعرف أن القران الكريم قد ذكر بأن الله تعالى قد فضلهم على العالمين ، وذلك عندما خاطب الله تعالى الفئة المؤمنة من بني إسرائيل وذكرهم بنعمة الأيمان وأنه فضلهم على العالمين، ولكن علينا أن نفهم حقيقة هذا التفضيل انه تفضيل إيماني وليس تفضيل عرقي أو قومي ، لآن الله تعالى قد فضل كل المؤمنين به وبرسله صلوات الله عليهم جميعا

وهذا بوضوح يعني أن الله تعالى قد اصطفى كل هذه الفئات من أجل إيمانها لا من أجل قومياتها وأعراقها.

- الثقافة بوجهة نظرنا هي المسؤولة عن كفاءة ومهارة وحوافز الإنسان في عملية الإنتاج الحضاري . مثلما هي المسؤولة عن سلوكياته وقيمه في توظيف واستثمار الناتج الحضاري والمعيار الدقيق في الحكم على إيجابية ثقافة ما وعلى صحة وإيجابية علاقتها بالشق المادي في حضارة ما هي درجة ومساحة الكرامة والعدل التي تحققها للإنسان.
- لكوننا نؤمن بالإله الواحد مسيحيين ومسلمين ندرك قبل كل شيء أن السلام اسم الله ، وأن كرامة الإنسان هبة منه تعالى، لذا ندعو إلى دوام الابتهال إليه من أجل السلام ونؤكد أن العدل والسلام أساس العلاقة والتعايش بين الناس.
- لئن افترقت بنا الطرق بشأن العبادة الروحية ومنطلقاتها فنحن مدعوون بأمر الله ربنا جل شأنه لنكون معاً في محارب العبادة العمرانية ، لتفعيل قيمنا وشرائعنا المتنوعة من أجل التنافس في الخير ، من أجل عمارة خيرة للأرض ، وإقامة العدل ، لتكون المسيرة البشرية لصالح كرامة الإنسان وسلامة البيئة والتعايش البشري الأمن.

- المادة باعتقادنا نحن المسلمين موحدة في عبادتها ، حيادية في أداء رسالتها الحضارية للناس ، لا تستعصي في عطائها على ثقافة ما ، أو سلوكية ما ، فهي تؤدي كامل رسالتها للكافر مثلما تؤديها للمؤمن أو المسلم سواء بسواء ، لا تنحاز لأحد دون أحد ولا تستعصي إلا على الجهل والجاهلين وعلى الكسالى والتنابل من الناس .
- ندعو الجميع لنعمل معا من أجل تعميم ثقافة الحوار ، وبعث روح المسؤولية لدى الأجيال البشرية تجاه المجتمعات، ومقاومة ظاهرة الإسراف في الاستهلاك ، وحماية كرامة الإنسان وحقوقه ، ومنع العدوان والاضطهاد والظلم ، والعمل على ضمان حقوق اللاجئين بالعودة إلى بلدانهم ، ورفض كافة أشكال التمييز العنصري بين الشعوب .
- فمصطلح الحضارة عندنا يشتمل على المصطلحين معا (الثقافة والمدنية) أو (الثقافة والعمران) وبالتالي يكون تعريف الحضارة عندنا حسب تقديري وفهمي: (هي ثمرة كل جهد بشري يبذل لعمارة الأرض وفق ثقافة ما) بمعنى أن لكل أمة منهجها الاجتماعي ولكل أمة كفاءتها ومهارتها المادية ، أو بعبارة أخرى فان لكل أمة ثقافتها ومدنيتها الخاصة بها

والثقافة والمدنية عاملان متكاملان في إقامة البناء الحضاري لكل أمة.

- أحسب أنه لا طائل من استمرارية الجدل بشأن الأصولية ، فهي بتقديري أمر محسوم لدى أتباع كل دين أو ثقافة ، والأفضل لنا التحول بحوارنا إلى إمكانية التأمل معاً ، حول البحث عن الكليات العليا التي من شأنها أن تجمعنا وتوحد عملنا باتجاه تحقيق مصالحنا وأمننا المشترك .
- ليس من غايات الحوار أن يتخلى أحد عن دينه ومعتقده وهويته، إنما غايات الحوار هو التعارف والتفاهم واستكشاف الحقيقة والمساحة المشتركة في ميادين الحياة .
- الحوار هو حوار أتباع أديان .... لا حوار أديان .
- الدين يعرض ... ولا يفرض .
- الاختلاف الجاري بين أتباع الأديان ، هو اختلاف أتباع لا اختلاف أنبياء فالأنبياء صلوات الله عليهم يصدرون عن مشكاة واحدة ، هي مشكاة نور الله وهديه.
- من الخطأ العقدي الفادح .. استخدام عبارة " الأديان السماوية".. فهذا يعني أن الله جل جلاله الذي هو في السماء.. قد أنزل للناس أديانًا مختلفة ..! وهذا غير صحيح

على الإطلاق.. فالدين عند الله واحد هو الإسلام .. والرسل صلوات الله عليهم جميعًا جاءوا مبشرين به على مراحل من الزمان، حتى ختم الله دينه ببعثة خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. حيث أكمل الله دينه للناس، وأتم عليهم نعمته بتمام الإسلام.. وحيث أن الرسل أرسلوا إلى أقومهم خاصة، فقد جعل الله تعالى لكل قوم شريعة تناسب حالهم ومقتضيات حياتهم .. وبذلك تعددت الشرائع في إطار الدين الواحد .. لذا فإن القول الصحيح " الدين السماوي الواحد بشرائع متعددة " . ولا يصح ديانة بأي حال أن يقال: " أديان سماوية " فهذا من الافتراء على الله تعالى، ومن الخروج على أصل أساس، وركن ركين من أركان مسائل الاعتقاد.. والعبارة المقبولة ديانة في سياق الإشارة إلى غير المسلمين اليوم أن يقال: " أتباع الشرائع السماوية " أو " أتباع الرسالات السماوية " حيث أن الرسالة هنا تعني المبادئ العامة المتعلقة بشؤون حياة الأمم والأقوام عبر التاريخ .. أو يقال: " أتباع الأديان " من دون تعليق أو توصيف أو تعريف .. وبذلك يشمل هذا التعبير كل أصحاب ملة أو اعتقاد أو فلسفة من خارج دين الإسلام.

- إن من الإكراه في الدين .. استغلال حاجة الناس وأحوالهم لفرض الدين عليهم .
- الإسلام له معنيان (خاص و عام) ... فالخاص هو دين الله الذي اكتمل بما أوحى به الله تعالى إلى رسوله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .. وثانيهما كل ما أوحى الله تعالى به للرسل من قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (فالإسلام دين الله منذ الأزل) .
- العبادة في الإسلام نوعان : عبادة روحية ، وعبادة عمرانية أو حياتية ... وتمام العبادة في الإسلام هو التلازم والتكامل بين العبادتين الروحية والعمرانية .
- إن ضاقت بالناس محاريب العبادة الروحية فلتتسع لهم محاريب العبادة الكونية العمرانية لأنها التكليف الرباني المشترك لبني البشر لعمارة الأرض وإقامة الحياة .
- إن تنوع الشرائع السماوية، أمر يدعو بأمر الله تعالى للتنافس والتسابق في ميادين الخير .. وليس مصدراً للتصادم والصراع والدمار .
- المواطنة في الإسلام نوعان : مواطنة إقليمية ، و مواطنة عالمية ... والأمن الإقليمي والأمن العالمي أمران متلازمان

متكاملان .

- الحقيقة الربانية واحدة لا تتعدد .
- تعدد الأديان .. هو تعدد اعتقاد .. وتعدد فهم .. تجاه الحقيقة الربانية الواحدة الخالدة ، أي تجاه حقيقة دين الله تعالى الإسلام .
- الإسلام هو : نظام عالمي ، ورسالة الرحمة للعالمين ، ومنهج لإقامة الحياة ، وهو السلام ، والعدل المطلق ، وهو الاستسلام لله الواحد الأحد لا شريك له ، فإن كان الشرك ظلماً عظيماً، فإن توحيد الله تعالى هو العدل الأعظم .
- عبارة الكفر ليست سبة ، بل هي وصف لحالة أو موقف من الحقيقة الدينية الربانية ... فالكافر باللغة تعني (الساتر)، ومن أسماء الليل (الكافر) أي الذي يستر الضياء والنور ... وجاء في الأثر (أهل الكفور) أي أهل القبور ، ومن الموافقات أن عبارة (كفر) بالعربية والإنجليزية لها معنى واحد وهو الغطاء أو يغطي ويخفي " غطاء ، Cover ".. إذاً الكافر: هو الذي غابت عنه الحقيقة الدينية الربانية ، وكل أهل عقيدة وديانة يصفون من يخالفهم بالكفر ، وهذه حقيقة وواقع متبادل بين أتباع الأديان .

- الجزيرة العربية لا يشهر فيها دين غير الإسلام، ولا تقام بها معابد لغير دين الإسلام ،
- أما خارج الجزيرة العربية فهاهي معابد غير المسلمين تجاور وتطاول مساجد المسلمين في جميع بلدان المسلمين.
- وخلاصة القول : أن قرار عدم السماح لبناء معابد لغير المسلمين على أرض المملكة العربية السعودية (جزيرة العرب) ، يقوم على المبررات التالية :

١. المبرر الديني المبني على نص شرعي لا يملك أحد مخالفته.
٢. مبرر اجتماعي لعدم وجود مواطن واحد يدين بغير الإسلام.
٣. مبرر قانوني لوجود عقود عمل مشروطة بهذا الشأن .

- أجل هناك فارق جوهري وعقدي في الإسلام ، بين القول بإفلاس المبادئ ، والقول بإفلاس الممارسات البشرية ، فالمبادئ في الإسلام ربانية محكمة لا يأتيها الباطل لا من بين يديها ولا من خلفها تنزيل من حكيم ، عليم ، وخبير ، أما الاجتهادات، والممارسات، والمهارات البشرية فيؤخذ منها ويرد كما عبر عن ذلك الصادق المصدوق نبينا وسيدنا محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه .

- يمكن القول بسهولة : أن الممارسات البشرية مع الإسلام في ميادين الحياة ، تختلف من حال إلى حال - زماناً ومكاناً- وتحكمها جميعها النية الصادقة مع الله ، فبقدر ما ترتقي النية الصادقة بأهلها ، بقدر ما يكون التوفيق والنجاح ، وبقدر ما تنحدر يكون التقهقر والفشل .
- الجوع والخوف .. آفتان خطيرتان مفسدتان .. تهددان اليوم سلامة غالب المجتمعات البشرية .. وتقوضان أمنها واستقرارها.. وتحيلان حياة الناس إلى جحيم لا يطاق .. وتعطلان مسيرة العطاء والتنمية .. وتئدان صحة الإنسان وحريته .. وتقيدان قدراته ومهاراته .. وتحبسانه ذليلاً مقهوراً .. لذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعيذ بربه سبحانه من : « الكفر والفقر ».
- تعليم الإنسان ، وتحريره ، وتأمينه من الجوع والخوف كانت من أولويات اهتمام رسالة الإسلام.
- الشريعة الإسلامية ترعى مصلحة الإنسان وأمنه، بل إن أحكام الشريعة وقيمها تدور وتتكيف مع مصلحة الإنسان وكرامته.. والقاعدة الفقهية العامة المشهورة تقول : « حيثما تكون المصلحة فثمّ شرع الله ».

- شركاء .. أم أوصياء ..؟ بل شركاء .. إن من مفتنات القول والفهم والتفكير.. أن يظن بعض المسلمين أن من واجبات المسلم إدخال الناس كافة في الإسلام .. من أجل أن يصبح الإسلام دين البشرية قاطبة .. دون أن يدرك هذا النفر من المسلمين.. الفرق بين واجب السعي للتعريف بالإسلام .. وتبليغه هديه الرباني للعالمين وتركهم من ثم أحرارًا .. يقررون لأنفسهم ما يفتح الله به عليهم .. وبين إجبار الناس على الدخول في الإسلام و إكراههم على ذلك.
- نحن أوصياء على أنفسنا.. للنهوض بواجبنا في إقامة الإسلام في حياتنا .. ولنكون من بعد الأنموذج الخير .. كما أكرمنا ربنا ويريدنا أن نكون
- أجل نحن شركاء ولسنا أوصياء على الآخر..ولا نقبل الآخر أن يكون وصيًا علينا .. ولا نقبل مبدأ الوصاية لأحد في الأرض على أحد .. فالوصاية والولاية المطلقة لله وحده لا شريك له .. والوصاية والولاية لسلطان الله .. فهو سبحانه مالك الملك.. وهو صاحب الولاية العليا على الخلائق كلها.. فهو رب الناس جميعًا ومدبر أمرهم.. والخلائق كلها جنها وأنسها.. وكل الأحياء والأشياء طوع أمره وإرادته .

- أجل نحن شركاء في العبودية الخالصة لله تعالى .. شركاء في تحقيق مراد الله في الحياة الدنيا .. شركاء في أداء مهمة الاستخلاف في الأرض بأمر ربنا جل وعلا .
- ومن فضل الله تعالى وحكمته..أن جعل ما في السموات وما في الأرض والكون .. كلها مسخرات بين يدي الإنسان .. للنهوض بمهمة الاستخلاف في الأرض .. ومن حكمته البالغة أن جعل المسخرات كلها حيادية في أدائها بين يدي الإنسان .. لا تنحاز لمؤمن على حساب غير المؤمن .. ولا تكون مع المسلمين على حساب غير المسلمين .. ولا تستجيب لقوم على حساب قوم آخرين .. فهي للجميع تستجيب لهم دون استثناء ، ولا تمتنع إلا على الكسالى والتنابلة ، والغافلين والجاهلين .. وهكذا لتقوم عمارة الأرض بجهد الجميع .. ولتستمر مهمة الاستخلاف بأمر ربها .. فإن تخلف عن النهوض بأمانتها قوم تقدم لها آخرون .. وإن نامت عن هذا الواجب الرباني أمة .. قيض الله سبحانه وتعالى لها أمة أخرى .. وهكذا ليقوم ويستمر مراد الله تعالى في عمارة الأرض .. واستثمار مكنوناتها لصالح حياة الإنسان ومهمته في الحياة الدنيا .
- ومن الفتنة والبدعة الانصراف عن مراد الله في عمارة

الكون واستثمار مكنوناته التي سخرها رب العباد لكل العباد . والفتنة والبدعة التي ما بعدها بدعة ولا فتنة .. هي في تحجيم الإسلام ورسالته العالمية الربانية الخالدة .. وتحويلها إلى طقـوس وهيئات كهنوتية .. وتفريغها من غاياتها ومقاصـده الربانية الجليلة في إقامة الحياة الكريمة للناس ، وفي سيادة العدل والأمن والسلام بين العباد .

- وأحسب أن من مصادر الخلل الأمني في بلاد المسلمين .. وكذلك من أسباب حالة الخلل في علاقة المسلمين مع غيرهم.. اختلال مفاهيم فريضة الجهاد العظيمة عند بعض المسلمين.
- أصل الجهاد (اصطلاحا وشرعًا) هو مجاهدة المرء هواه ونزواته .. ومجاهدة غواية الشيطان وتزييناته .. ومجاهدة الآخرين من شياطين الإنس .. وذلك بمقارعة أباطيلهم وافتراءاتهم وعنادهم وصلفهم .. بما جاء في القرآن الكريم من حجج وبراهين .. وبما تميز به من إعجاز في العرض والبيان .. مما يفرق بين الحق والباطل .. ومما يقذف الباطل فيدمغه ويحيله قاعًا صفصفًا .
- والجهاد كذلك هو مواصلة التعريف بالإسلام ورسالته

العالمية بين الناس عبر الزمان والمكان .. بكل الوسائل المتاحة والمهارات المتوفرة .. وذلك كله بالحكمة والموعظة الحسنة التي تناسب أحوال الناس اجتماعيًا وثقافيًا .

- إن هذا التأكيد على كره القتل والقتال .. ومقت العدوان والاعتداء من حيث المبدأ .. والتأكيد على تقوى الله أثناء ممارسة رخصة القتال ، باعتباره وسيلة استثنائية أملتها ضرورات رد العدوان والبغي .. إنما هو تأكيد على مبدأ أساس في منهج الإسلام .. وهو أن الإسلام جاء لإحياء الناس وليس لقتلهم وإفنائهم .
- الأصل في الجهاد .. هو جهاد بيان وحجة وبرهان،ودعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتعريف بدين الله ومقاصد رسالته وشريعته بالجدال والحوار مع الناس بالتي هي أحسن .. وأن القتال وسيلة استثنائية من وسائل الجهاد .. تمليها ظروف وغائلة الاعتداء والبغي والظلم على المسلمين.. وتنتهي مع انتهاء أسبابها ومبرراتها الشرعية .
- وذات مرة سألني سائل في إحدى مؤتمرات الحوار مع الآخر قائلاً : ألا ترى أن القرآن عندكم يؤصل لثقافة الإرهاب .. ؟ قلت كيف .. ؟ وما هو دليلك ..؟

فقرأ عليّ هذه الآية ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ الأنفال: ٦٠

قلت له: وهل أنت عدو لله ؟ قال : (لا).. قلت وهل أنت عدو للمسلمين ؟

قال: (لا).. قلت : ما الذي يخيفك إذاً من هذا الاستعداد..؟ ومن ثمّ أليس من حق كل أمة أن تتخذ من الأسباب ما يحول بينها وبين المعتدين..؟

أو ليس لها أن تستعد لحماية سيادتها ومصالحها من ظلم الظالمين ومن بغي الباغين ؟

- القتال في الإسلام عملية مفاعلة مع فعل بدأ به طرف آخر ، وأنه رد لحالة عدوانية من ذلك الآخر.. وأن القتال وسيلة استثنائية من وسائل الجهاد .. وليس كما يظن البعض أو يدعي .. بأنه الوسيلة الدائمة على الإطلاق بناءً على فهم خاطئ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :» الجهاد ماض إلى يوم القيامة «

أجل هو ماض ولا شك .. من حيث هو جهاد بيان وحجة وبرهان تعريفًا وتبليغًا لدين الله للناس أجمعين على مر

الأزمنة والدهور .. وهو ماض ولاشك من حيث هو جهاد قتال عندما تتوفر أسباب ومبررات رخصة القتال .. وعندما تقرر الأمة مصلحتها في القتال من خلال ولاة أمرها وأهل الحل والعقد فيها.

أن دائـرة عقيدة التوحيد هي أساس العقيـدة والاعتقاد في الإسلام ، وهي المسؤولة بشكل أساس عن مسألة البراء والـولاء.. باعتبار أن أهـل كل ديانة لهم معتقدهم الخاص بهـم .. والمعتقـدات هي أسـاس الاختـلاف والتناقض بين الأديان .. فكل أهل ديانة يرون أن ما هم عليه من الاعتقاد، هو الحق الذي يدينون به إلى ربهم وإلههم الذي يؤمنون به ، ويعتقدون بصفاته وأسمائه وأحواله .. وعلى أساس من هذا الاعتقاد تقوم في نفوسهم قاعدة البراء مما يعتقد به الآخر مما يتناقض مع ما هم عليه من الاعتقاد.. ونحن المسلمين شأننا في ذلك شأن كل أتباع الأديـان .. فلنا اعتقادنا ولنا تصورنا الخاص بنا تجاه ربنا وإلهنا .. وهـذا الاعتقاد هو أساس البـراء عندنا مما يعتقد به غيرنا مما يتناقض مع مقومات اعتقادنا .. وهـذه مسـألة جوهرية في دين الإسلام لا تحتمل المجاملة ، ولا المساومة ، ولا المداهنة ، ولا تخضع لكل

المغريات أو المكرهات .

- أجل فالبراء مسألة عقيدة واعتقاد ، واضحة وجلية وحاسمة عندنا ، وهي البراء من كل عقيدة تتناقض مع اعتقادنا.. وهذا شأن الآخر تجاه معتقداتنا.. فهو كذلك لا يجامل ولا يساوم فيما يعتقد ويؤمن .. لأن مسألة الاعتقاد هي أساس الاختلاف والافتراق والتناقض بين أهل الأديان ، فالبراء إذًا براء وجداني عقدي مما يعتقد الآخر، وليس براء من انتمائه البشري وأدائه الحضاري الحياتي ، فنحن والآخر شركاء في الأداء الحضاري ، وشركاء بالنهوض بمهمة عمارة الأرض وإقامة الحياة، و دائرة المشترك مع الآخر تأخذ بالانفتاح والانفراج بعد دائرة العقيدة والاعتقاد .. فهناك مساحة مشتركة وواسعة للتعايش والتعاون والتفاهم والتنافس في رحاب دائرة الشريعة والرسالة .
- إن من إشكالاتنا في مسألة البراء ، أن البعض من علمائنا - وهم لله الحمد قلة نادرة - وبعض طلبة العلم ، قد وسع دائرة عقيدة التوحيد - وهي بلا شك الأصل في تقرير مسألة البراء - على حساب دائرتي الشريعة والرسالة ، اللتان تتسعان لمساحات فسيحة للمشترك الدنيوي مع الآخر.

- الأمـن الفردي .. والأمـن الاجتماعي .. والأمـن الإقليمي .. والأمـن الدولي .. هي من أهـم تطلعات الإنسان في الحياة.. والإسلام نظر إليها على أنها دوائـر متكاملة متلازمة فيما بينها .. بدءًا من دائـرة الأمـن الفردي وانتهاءً بدائرة الأمن البشري العالمي .
- دائـرة الأمـن الفردي في منهج الإسـلام..هـي اللبنة الأساس والمتينة في بناء الأمـن الاجتماعي والإقليمي والعالمي .. والأمن الوجداني هو أساس بناء الأمن الفردي للنوع البشـري .. والإسـلام جعـل مسألة الإيمان بالله الواحد الأحد وإخلاص العبودية لله .. هي أساس تحرير ضمير الإنسان من أي عبودية أخرى لغير الله .. وأساس تحرير وجدان الإنسان من مغريات الدنيا ومخاوفها .. وأساس الطمأنينة والاستقرار النفسي للفرد البشري.
- الإسلام أقام علاقة وثيقة بين الأمن الإقليمي والأمن العالمي، تقوم على أسـاس رباني راسخ .. وهو أن الأرض لله والخلق كلهم عباده .. يمكّن لمن يشاء فيها منهم ، وفق

معايير بذل الجهد والمهارة والإصلاح دون تمييز بينهم في الحياة الدنيا.

- الظلم هو أساس كل مفسدة . وهو الجذر لشجرة الضلال والغي والرذيلة في مسير حياة الناس.. والله سبحانه وتعالى يمقت الظلم والظالمين أيًا كان دينهم أو انتمائهم .. وينتصر للعدل ويبارك فيه أيًا كان مصدره وأيًا كانت ديانة القائمين فيه .
- أستطيع القول بكل ثقة ويقين: أن رسالة الإسلام قد أقامت التكوين التربوي والثقافي للفرد المسلم على أساس من المسؤولية الشاملة تجاه الحياة .. وعلى أساس من مبدأ المسؤولية المشتركة مع الآخر .. من أجل إنجاز المهمة الربانية المشتركة للجميع وهي :

١. عمارة الأرض واستثمار خيراتها ،
٢. إقامة الحياة وفق متطلبات كرامة الإنسان ،
٣. إقامة العدل دون تمييز بين الناس ،
٤. صون سلامة البيئة وعدم الإفساد في الأرض.

- العلة في ضعف ومهانة المسلمين بين الأمم ليست قلة المسلمين " فهم يومئذ كثير " وبالفعل نحن اليوم ولله الحمد

كثير، ولكن العلة كما عبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :

" ولكنكم غثاء كغثاء السيل " العلة إذًا في غثائيتنا .. في انعدام وزننا الإبداعي والإنتاجي في ميادين الحياة .. العلة في تعطيل وهجران محاريب العبادة العمرانية في مناكب الكون وآفاقه .. والعلة كل العلة في التخلف عن تسخير ما سُخّر لنا ، واستثمار ما أودع الله لنا من مكنونات في خزائن الكون وآفاقه .. والعلة كذلك في أدائنا الحضاري والأخلاقي مع ما نملك من إمكانات وقدرات مادية .

الفصل الثامن

السيرة الذاتية

أ . د . حامد بن أحمد الرفاعي

- ☐ المنظمة: مؤتمر العالم الإسلامي
- ☐ الوظيفية: نائب الرئيس.
- ☐ المنظمة: المنتدى الإسلامي العالمي للحوار
- ☐ الوظيفية: الرئيس.
- ☐ المنظمة: المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة
- ☐ الوظيفة: عضو هيئة رئاسة المجلس.
- ☐ صندوق البريد: ٣٤١٢٨ جدة ٢١٤٦٨
- ☐ البريد الالكتروني: alrifaie@hotmail.com
- ☐ الدولة: المملكة العربية السعودية

المؤهلات العلمية :

١. دكتوراه في الكيمياء العضوية – جامعة القاهرة – جمهورية مصر العربية.
٢. ماجستير في الكيمياء العضوية الصناعية - جامعة سري – المملكة المتحدة
٣. بكالوريوس في الكيمياء والجيولوجيا – جامعة دمشق – سوريا.
٤. درجة أستاذية في الكيمياء الصناعية.
٥. درجة أستاذية في الدراسات الإسلامية والحضارية.

الوظائف الأكاديمية :

١. أستاذ في الكيمياء في التعليم الثانوي من عام ١٩٦٢م وحتى عام ١٩٧٨م .
٢. أستاذ في الكيمياء العضوية في جامعة الملك عبد العزيز من ١٩٧٨– ١٩٩٨م .

المهام الإسلامية والعالمية :

١. نائب رئيس موتمر العالم الإسلامي

٢. رئيس المنتدى الإسلامي العالمي للحوار.
٣. عضو هيئة رئاسة المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة.
٤. الرئيس المشارك للجنة الاتصال الإسلامي - الكاثوليكي (الفاتيكان) .
٥. عضو لجنة تنسيق العمل الإسلامي في منظمة المؤتمر الإسلامي.
٦. خبير في الدراسات الإستراتيجية في منظمة المؤتمر الإسلامي.
٧. نائب رئيس اللجنة الإسلامية العالمية للإعلام.
٨. عضو الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.
٩. عضو هيئة رئاسة المجلس العالمي للقيادات الدينية — الأمم المتحدة.
١٠. عضو مجموعة المائة شخصية إسلامية عالمية .
١١. عضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة.
١٢. عضو اللجنة الاستشارية والشرعية لقناة الرسالة.
١٣. عضو في العديد من المنظمات والهيئات العالمية.

الجوائز والأوسمة: حصل على عدد من الأوسمة والجوائز منها:

١. درع وهدية تقديرية من فضيلة شيخ الأزهر

٢. درع تقدير من مجلس كنائس الشرق الأوسط
٣. درع تقدير من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الأردن
٤. جائزة تقديرية من المجلس العالمي للقيادات الدينية والروحية
٥. وسام تقدير من رئيس المجلس العالمي البوذي
٦. جائزة التعليم والسلام العالمي مع وسام من مؤسسة التعليم من أجل السلام في أيرلندا.

الإصدارات العلمية والفكرية:

- العديد من البحوث في الكيمياء .
- العديد من البحوث والإصدارات في مجال الفكر والدعوة الإسلامية تزيد عن ثمانية وسبعين بحثاً وإصداراً منها:

١. الأمة الإسلامية... وأزمة الاستئناف الحضاري.
٢. التعارف والأمن البشري .
٣. المسلمون والغرب .
٤. أدب الحوار والاختلاف في الإسلام .
٥. أفكار وآراء بين يدي مشروع قراءة موضوعية لأزمة الخليج
٠٦. تقعيد حد الحرابة في الإسلام والارتقاء الحضاري .
٠٧. الإسلام ... والتعددية السياسية.

٠٨. الإسلام ... والتكامل الثقافي .
٠٩. الإسلام ... والنظام العالمي الجديد.
١٠. نحن ... وحوار الحضارات .
١١. الإسلام ... والأمن الدولي .
١٢. الإسلام ... وثقافة الحوار .
١٣. الإسلام ... وحقوق الإنسان وواجباته.
١٤. الإسلام ... وحقوق وواجبات المواطن.
١٥. الإسلام ... ورسالته العالمية .
١٦. الإسلام ... والأمن البشري.
١٧. الإسلام ... والتعايش البشري الآمن.
١٨. الإسلام ... ووحدة الأسرة البشرية .
١٩. الإسلام ... وتكريم المرأة .
٢٠. الإسلام ... ومكافحة الفقر.
٢١. الإسلام ... والحضارات الأخرى .
٢٢. الإسلام ... وحوار الحضارات في زمن العولمة.
٢٣. النظم الدولية ... وحقوق الإنسان وواجباته.
٢٤. أدبيات الخطاب الإسلامي مع غير المسلمين.
٢٥. القدس ... والسلام الآمن.

٢٦. وماذا عن العالمية والعولمة .

٢٧. نعم للحوار ... لا للحوار .

٢٨. الأجيال البشرية وحاجتها للتعرف على المشروع الحضاري الإسلامي.

٢٩. دراسة إستراتيجية لحاضر ومستقبل العمل الإسلامي.

٣٠. الصيغة المستقبلية للوحدة والتضامن الإسلامي.

٣١. العالمية والعولمة رؤية إسلامية.

٣٢. الحضارة وإشكالية المصطلح والأداء.

٣٣. الوسطية مرتكز راشد لحوار الثقافات.

٣٤. تكامل الحضارات.

٣٥. الإسلام ومنطلقات المشترك الحضاري البشري.

٣٦. نحن والآخر .. إشكالية المصطلح والحوار .

٣٧. شركاء .. لا أوصياء «الطبعة الأولى والثانية»

٣٨. ها نحن ..! فمن أنتم..؟ رسالة للراغبين في التعارف والتعايش الآمن.

٣٩. البيعوية .. والديمقراطية .

٤٠. الوسطية بالاشتراك مع سمو الأمير الحسن بن طلال ونخبة من المفكرين.

٤١. تعالوا إلى كلمة سواء.

٤٢. ولكنكم غثاء.

٤٣. مسيرة الحوار في التاريخ المعاصر.

المؤتمرات والندوات والبيانات.. عدد كبير نذكر منها:

٠١. مؤتمرات منظمة المؤتمر الإسلامي.

٠٢. مؤتمرات الأمم المتحدة.

٠٣. مؤتمرات رابطة العالم الإسلامي.

٠٤. مؤتمرات مؤتمر العالم الإسلامي.

٠٥. مؤتمرات الإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

٠٦. المؤتمر العام لبيت المقدس — عمان ١٤١٠ هـ.

٠٧. مؤتمرات وزراء خارجية الدول الإسلامية.

٠٨. المؤتمر الإسلامي العالمي لمناقشة الأوضاع الحاضرة في الخليج ٢١ صفر ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.

٠٩. المؤتمر الطلابي الإسلامي العالمي للتضامن مع الكويت/ ٨— ١١ جمادى الأول ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م.

١٠. مهرجان الجهاد الإسلامي — الرياض/ المملكة العربية السعودية ٤ — ٦ شعبان ١٤١١ هـ.

١١. الملتقيات الثقافية (الجنادرية) الرياض/ المملكة العربية السعودية.

١٢. الندوة العالمية لمستقبل الإسلام في أفريقيا-تطوان/المغرب ١٤٠٩هـ.

١٣. الندوة الإسلامية في أسبانيا / مدريد ١٤٠٩ هـ.

١٤. الندوة الشرعية لدراسة مشاكل الجاليات الإسلامية في أوروبا - شانوشينون/ فرنسا ١٤١٣هـ .

١٥. الندوة العالمية حول القدس - روما ١٩٩٣م .

١٦. الندوة الإسلامية الكبرى حول الإسلام وحوار الحضارات/ المدينة المنورة.

١٧. مؤتمر المرأة في بكين - الصين / ١٩٩٥م.

١٨. مؤتمر الإسلام وحقوق الإنسان في باريس - فرنسا ١٩٩٥م.

١٩. مؤتمر الإسلام وحقوق الإنسان في روما - إيطاليا ١٩٩٩م.

٢٠. الحوار الإسلامي المسيحي في مدريد - أسبانيا / ١٤٠٩هـ.

٢١. القمة الألفية للقيادات الدينية - روما - الفاتيكان ٢٠٠٠م.

٢٢. القمة الألفية للقيادات الدينية والروحية - الأمم المتحدة- أغسطس ٢٠٠٠م.

٢٣. القمة الإسلامية في دورتها التاسعة / قطر ١٢- ١٥ نوفمبر ٢٠٠٠م.

٢٤. الندوة العالمية مع المجلس الوطني الأمريكي لكنائس المسيح.

٢٥. الندوة العالمية مع مجلس كنائس الشرق الأوسط/ ٢٠٠١م.

٢٦. المؤتمر العالمي لتعاون الأديان – تايبي – تايوان /٢٠٠١م.

٢٧. الندوة العالمية للحوار التي نظمها (المنتدى الإسلامي العالمي للحوار) القاهرة – ٢٨ – ٣٠ أكتوبر ٢٠٠١م.

٢٨. المنتدى الاقتصادي العالمي – نيويورك – الولايات الأمريكية – ٣٠ يناير – ٥ فبراير ٢٠٠٢ م.

٢٩. الندوة العالمية (الإسلام وحوار الحضارات) الرياض – المملكة العربية السعودية – ١٧ مارس ٢٠٠٢م.

٣٠. المؤتمر الدولي للحرية الدينية الذي نظمته (الهيئة العالمية للحريات الدينية) ٢٨ يوليو-٢ أغسطس ٢٠٠٢ م بودابست/ هنغاريا.

٣١. قمة قيادات العالم الإسلامي التي نظمتها (الفدرالية العالمية للأديان من أجل السلام العالمي – ومقرها نيويورك) ٣ – ٥ أغسطس ٢٠٠٢ م – لندن.

٣٢. القمة العالمية حول التنمية المستدامة – جوهانسبرغ – جنوب أفريقيا – ٢٦ أغسطس – ٤ سبتمبر ٢٠٠٢م.

٣٣. الملتقى التشاوري العالمي حول «المسيحيون والمسلمون في الحوار وما يتبعه» – جنيف – سويسرا – ١٦ – ١٨ أكتوبر ٢٠٠٢م.

٣٤. مؤتمر الحوار الإسلامي/ المسيحي البحرين ٢٨-٣٠ أكتوبر ٢٠٠٢م

٣٥. سلسلة ندوات حوار مع الفاتيكان سنوية .

٣٦. مؤتمرات المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة .

٣٧. مؤتمرات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / القاهرة .

٣٨. الندوة العالمية للتشاور بشأن السلام في الشرق الأوسط – واشنطن/ الفدرالية العالمية للحوار بين الأديان من أجل السلام – في الفترة من ٢٧ فبراير إلى ٢ مارس ٢٠٠٣م .

٣٩. محاضرة في منتدى الفكر العربي، حول موضوع (الأمة .. وإشكالية مصطلح الحضارة)، عمّان / الأردن – ٤/ ١١/ ٢٠٠٤م.

٤٠. مشاركات في الدروس الحسنية - المغرب

٤١. مشاركات في الدروس الهاشمية – وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية،

٤٢. مقابلات صحفية عديدة

٤٣. مقابلات تلفزيونية عديدة.

٤٤. مؤتمر حقوق الإنسان في السلم والحرب – الرياض / المملكة العربية السعودية من ١٤ إلى ١٥ أكتوبر ٢٠٠٣م .

٤٥. حوار مع وفد لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الكندي في مدينة الرياض، بتاريخ ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٣م .

٤٦. الندوة العالمية للتقريب بين المذاهب في البحرين/ ٢٠٠٣م.

٤٧. المؤتمر العالمي حول الإسلام والغرب في الخرطوم – جمهورية السودان من ١٣ – ١٥ ديسمبر ٢٠٠٣م.

٤٨. لقاء المصالحة بين الأديان في الفاتيكان وبحضور بابا الفاتيكان وعدد من القيادات الدينية في العالم، يوم ١٧ يناير ٢٠٠٤م.

٤٩.. استقبال البابا لوفدي لجنة الاتصال وتبادل الكلمات بينه وبين رئيسي الوفدين حول الوضع الدولي الراهن ودور الحوار في تحقيق الأمن والسلام، ٢٠ يناير ٢٠٠٤م.

٥٠. الندوة السابعة لمستجدات الفكر الإسلامي في الكويت من ٢٠- ٢٢ فبراير ٢٠٠٤م.

٥١. محاضرة في مقر المؤسسة الإسلامية الثقافية في جنيف، حول موضوع المسيرة البشرية وأزمة القيم. ١٠ مارس ٢٠٠٤م.

٥٢. محاضرة في المركز الإسلامي في جنيف، حول الإسلام والتنوع الحضاري، ١٥ مارس ٢٠٠٤م.

٥٣. مشاركات في اللجنة العامة لحقوق الإنسان، التابعة للأمم المتحدة في جنيف / سويسرا، مارس – أبريل ٢٠٠٤م.

٥٤. المنتدى العالمي للأديان والثقافات، حول حوار الحضارات، من أجل ميثاق عالمي جديد، أثينا – اليونان، من ٧ إلى ٩ مايو ٢٠٠٤م.

٥٥. المؤتمر الإسلامي – المسيحي، حول بناء الحوار من أجل بناء السلام، في أسيسي / إيطاليا، ١٧ – ١٨ سبتمبر ٢٠٠٤م.

٥٦. مؤتمر الحوار الإسلامي – المسيحي، حول موضوع الحرية الدينية، من ٢٧ إلى ٢٩ مايو ٢٠٠٤ م، في الدوحة – قطر .

٥٧. مقابلة صحفية مع مجلة مؤتمر برلمان الأديان في برشلونة ٢ يوليو٢٠٠٤م .

٥٨. توقيع اتفاقية للحوار، مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، برعاية فضيلة شيخ الأزهر، وحضور البابا شنودة الثالث، القاهرة ١٦ يوليو ٢٠٠٤م .

٥٩. توقيع بيان مشترك مع المجلس البابوي للحوار بين الأديان، حول الأوضاع في العراق ٠٢ أغسطس ٢٠٠٤م.

٦٠. توقيع بيان مشترك مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، بشأن العراق ٢٠٠٤م.

٦١. إصدار بيان مشترك، مع المجلس البابوي في الفاتيكان، حول حادثة تفجير الكنائس في العراق.

٦٢. الندوة العالمية للحوار حول العمل الخيري الإنساني – جنيف/ سويسرا من ٢٥ – ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٤م .

٦٣. الملتقى الثاني، للمنتدى الشعبي العالمي، لحوار الحضارات، جزيرة رودوس – اليونان، من ٢٩ سبتمبر إلى ٢ أكتوبر ٢٠٠٤م.

٦٤. البدء في مشروع بحث، حول حقيقة علاقة جان جاك رسو، بالشيخ فرحان أبو زيد واقتباس فكرة العقد الاجتماعي من منهج الإسلام / ٢٠٠٨م.

٦٥. مؤتمر قمة الاحترام بين الأديان من ٢٨ نوفمبر إلى ٠٦ ديسمبر ٢٠٠٤م:

١. نيويورك،

٢. بوسطن،

٣. جامعة هارفرد.

٦٥. الدورة الأولى للحوار بين المنتدى الإسلامي العالمي للحوار ومجلس كنائس الشرق الأوسط و من ١٥ – ١٧ مارس ٢٠٠٥ م – مقاصد الحوار / القاهرة.

٦٦. الدورة الحادية عشرة للجنة الاتصال الإسلامي – الكاثوليكي ٩- ١٠ يونيو ٢٠٠٥م.

٦٧. الندوة العالمية لحوار الأديان في دبلن – إيرلندا يوم ١٠ أغسطس ٢٠٠٥م.

٦٨. توجيه بيان مشترك موقع من رئيس المنتدى ورئيس المجلس البابوي في الفاتيكان إلى توني بلير بمناسبة تفجيرات السابع من أغسطس ٢٠٠٥م .

٦٩. توجيه رسالة لتوني بليروالأمير تشارلز بمناسبة تفجيرات السابع من أغسطس ٢٠٠٥ م.

٧٠. مؤتمر الشباب الإسلامي – المسيحي «تحديات العيش المشترك» في عمّان – الأردن من ٠٧ – ١٠ سبتمبر ٢٠٠٥ م.

٧١. ندوة القيادات الدينية – عمّان / الأردن ١١ نوفمبر ٢٠٠٥م.

٧٢. توقيع بيان مشترك مع مجلس كنائس الشرق الأوسط بشأن المختطفين في العراق.

٧٣. مؤتمر تحالف الحضارات / تونس ٢٠٠٦م

٧٤. محاضرة في جامعة الكويت / شركاء .. لا أوصياء

٧٥. حوار الثقافات والحضارات مسقط / ٢٠٠٦م

٧٦. حوار الحضارات اليونان – جزيرة رودوس ٢٠٠٦م

٧٧. الدورة الثانية للحوار، بين المنتدى الإسلامي العالمي للحوار، ومجلس كنائس الشرق الأوسط، في القاهرة / جمهورية مصر العربية، في الفترة من ٢١– ٢٢ آذار/ مارس ٢٠٠٦م

٧٨. الدورة الثانية عشرة للجنة الاتصال الإسلامي – الكاثوليكي (الفاتيكان) للفترة من ٠٨ – ٠٩ / ٠٦ / ٢٠٠٦م بروكسل – بلجيكا.

٧٩. الندوة الدولية حول الحوار بين الحضارات والثقافات (سلطنة عمان) للفترة من ١٢ – ١٥ / ٧ / ٢٠٠٦م.

٨٠. إصدار بيان في ١٥/ ٠٩/ ٢٠٠٦م احتجاجاً على تصريحات البابا في ألمانيا.

٨١. الاتصال مع زملائنا في المجلس البابوي للحوار بين الأديان بتاريخ ١٦ / ٠٩ / ٢٠٠٦م .. وطلب عقد دورة استثنائية للحوار لمناقشة تصريحات البابا في ألمانيا.

٨٢. إصدار بيان بتاريخ ٠٨/ ٢٠٠٦/٠٩م بشأن أسف البابا لما صدر عنه من تصريحات في ألمانيا، مما جرح مشاعر المسلمين وأغضبهم.

٨٣. الاتفاق مع الفاتيكان على أن تكون موضوع الدورة الثالثة عشرة للجنة الاتصال الإسلامي – الكاثوليكي في يونيو ٢٠٠٧م:

- مناقشة ردود الفعل بشأن محاضرة البابا في ألمانيا.
- المنهج المناسب لاستمرار الحوار بالاتجاه الإيجابي.

٨٤. إصدار رسالة رمضان السنوية الثالثة للناس لعام ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م عربي، إنكليزي.

٨٥. إرسال خطاب للرئيس جاك شيراك احتجاجاً على ما ورد من إساءة للإسلام في جريدة الفيقارو ٢٥/ سبتمبر / ٢٠٠٦م.

٨٦. رد الرئيس جاك شيراك ٦ نوفمبر ٢٠٠٦م.

٨٧. مشاركة في الندوة العالمية حول الدين والمواطنة التي عقدت في فيلنسيا / أسبانيا في الفترة من ١١ – ١٣ / ٠٤ / ٢٠٠٧م.

٨٨. محاضرة في مجمع الفقه الدولي-منظمة المؤتمر الإسلامي ٢٩ /٠٥/ ٢٠٠٧م

٨٩. لقاء مع وفد من لجنة حرية الأديان العالمية / وزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ ٣٠ / ٠٥ / ٢٠٠٧م حول حوار الأديان ٠

٩٠. منح الدكتور الرفاعي جائزة السلام والتفاهم العالمي ٥/٠٦/ ٢٠٠٧م.

٩١. لقاء المجلس البابوي للحوار بين الأديان – الفاتيكان ٧-٨/٠٦ / ٢٠٠٧م.

٩٢. المؤتمر العالمي للحوار الإسلامي المسيحي/الخرطوم١١-١٣/٠٦/ ٢٠٠٧م.

٩٣. حوار الحضارات والتعايش البشري٢٨/٦- ٣/ ٠٧/ ٢٠٠٧م/ إمارة موناكو.

٩٤. المجلس العالمي للقيادات الدينية- سنغافورة ١٧-١٩/ ٠٧/ ٢٠٠٧م.

٩٥. مؤتمر «الغرب والإسلام» في سليفونيا من ٢١- ٢٣ / ٠٧ / ٢٠٠٧م.

٩٦. المؤتمر الاقتصادي الدولي- نيودلهي ٣١ / ٠٨ – ١ / ٠٩ / ٢٠٠٧م

٩٧. الهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة٥-٧/٠٩/ ٢٠٠٧م.

٩٨. المؤتمر الدولي الثالث لمنتدى الوسطية – عمّان ٨ – ١٠/٠٩/٢٠٠٧م.

٩٩. المنتدى الخامس لحوار الحضارات-رودس ١٠ – ١٤ /١٠/٢٠٠٧م.

١٠٠. الحوار الإسلامي - الإسلامي في ١٠/١١/٢٠٠٧م في الخرطوم.

١٠١. حوار الحضارات والتنوع الثقافي – فاس – المغرب ٢٣- ١١/٢٥ / ٢٠٠٧م.

١٠٢. الحوار مع مجلس كنائس الشرق الأوسط – قبرص ٢٨/١١/٢٠٠٧م.

١٠٣. مؤتمر الوحدة الإسلامية – البحرين ٢٠٠٧م

١٠٤. إثنينية الشيخ عبد المقصود خوجه تكرّم الأستاذ الدكتور حامد بن أحمد الرفاعي ٢ / ٣ / ١٤٢٩هـ الموافق ١٠ / ٣ / ٢٠٠٨م.

١٠٥. مؤتمر "الإسلام دين الحوار" من ٩-١١ / ٥ / ٢٠٠٨م.- المركز الثقافي الإسلامي لجمعية إفري – فرنسا

١٠٦. المؤتمر السادس لحوار أتباع الأديان – الدوحة – قطر من ١٢-١٤ / ٥ / ٢٠٠٨م.

١٠٧. الاجتماع الأول للجنة الخبراء في منظمة المؤتمر الإسلامي من ١٤ – ١٥ / ٥ / ٢٠٠٨م – القاهرة. بشأن وضع خطة إستراتيجية لتفعيل الإستراتيجية الثقافية الصادرة عن مؤتمر مكة المكرمة.

١٠٨. المؤتمر السنوي الرابع للدين والسلام (العنف ضد المرأة) من ٧ -٨ / ٦ / ٢٠٠٨م - دبلن - أيرلندا.

١٠٩. منح الأستاذ الدكتور حامد بن أحمد الرفاعي جائزة " السلام : تناغم وتفاهم " من المؤسسة الإعلامية الإسلامية في أيرلندا ٧ / ٦ / ٢٠٠٨م.

١١٠. الدورة الرابعة عشرة للجنة الاتصال الإسلامي – الكاثوليكي من ١١ -١٣ / ٦ / ٢٠٠٨م. الفاتيكان – روما.

١١١. مؤتمر " الإسلام سينتصر على الإرهاب " من ٣ -٤ يوليو ٢٠٠٨م موسكو -جمهورية روسيا الاتحادية.

alrifaie@hotmail.com

WWW.dialogueonline.org

الفهرس

الافتتاحية.. ٥
الإهداء.. ٧
المقدمة.. ٩
إشكالية مصطلح العلمانية.................................. ١٥
حقيقة دور الدين في ميادين الحياة........................ ٢١
المجمع المسكوني الثاني ٢٩
الاسلام والحياة ٤١
من ثقافة النمل إلى ثقافة النحل............................ ٥٩
الاسلام والأمن الاقليمي والأمن العالمي.................. ٧١
كلمات مختصرة للمؤلف.................................... ٨٣
السيرة الذاتية للمؤلف ١١٣





لا بد من تأكيد حقيقة جلية لا يستطيع أحد من ذوي الألباب أن ينكرها أو التنكر لها.. وهي أن الغرب لا يزال يعاني من بقايا صراع بغيض، بين حالتين من الغلو والتطرف.. تطرف يمارسه بعض سدنة الكنيسة المسيحية.. من الذين يصرون على هيمنة سلطان الكنيسة في تحديد الأفضل لحياة أتباعها.. والأفضل عندهم أوبة المسيحيين إليها.. والانسحاب من الانشغال بالدنيا وزخرفها.. الأمر الذي يفسد إيمانهم وروحانية اتصالهم بالله.

وتطرف آخر يمارسه بعض حرّاس العلمانية والحداثة.. من المنهمكين في تعميق القطيعة الروحية والسلوكية بين الإنسان والكنيسة وتعاليمها الكهنوتية.. لكونها بنظرهم أفيوناً يُخدّر عقول الأجيال ويشل إرادتهم.. ويحجزهم عن ميادين الحياة.

أجل.. فالغرب لا يزال يعاني من تطرفين متناطحين.. تطرف ديني وآخر [illegible] والتخوف الذي ننبه إليه.. ألا ينتقل مثل هذا التطرف والتناطح [illegible] مجتمعاتنا الإسلامية.. المؤسسة على الوسطية الراشدة في التكامل بين الدين والدنيا.. وبين الروحي والمادي.. وبين المسجد والسوق.

المؤلف